العدد 197 أيار 2023
www.filistinshaab.com

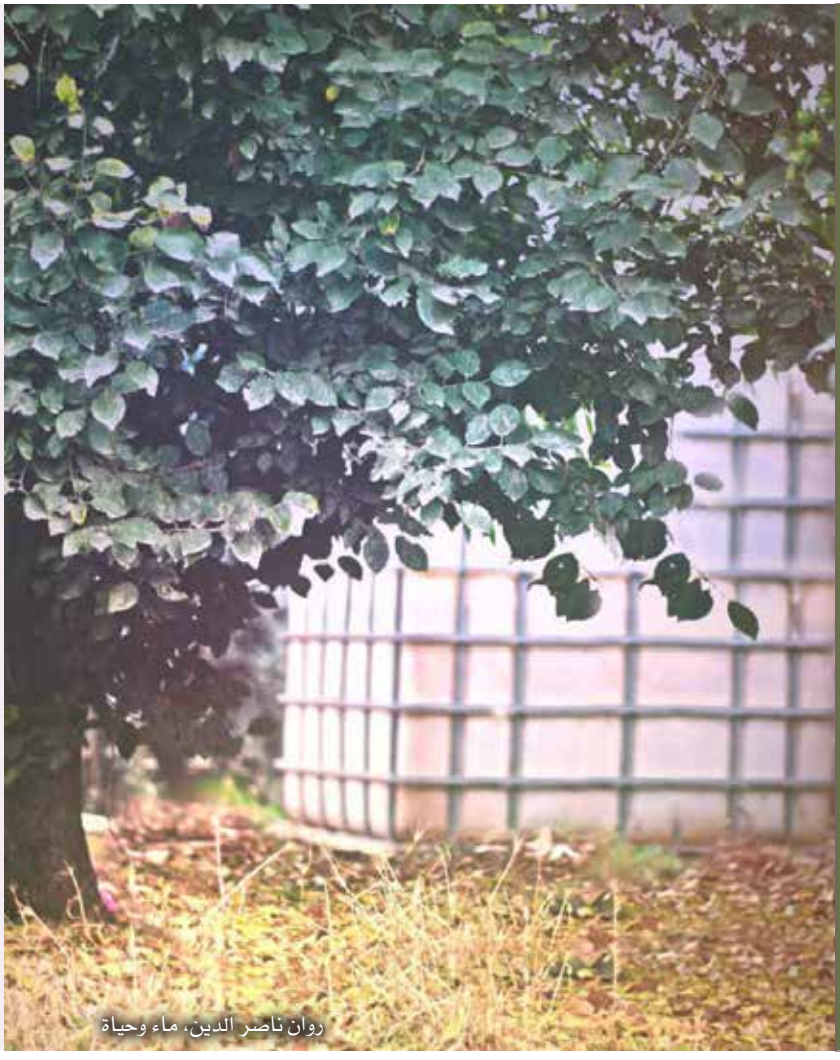

روان ناصر الدين، ماء وحياة

ترسل المقالات والمواد
الفنية إلى العنوان التالي:
info@filistinashabab.com
للاستفسار: 02 2 951262

لإعلاناتكم في مجلة فلسطين الشباب:
marketing@filistinashabab.com

Find us on: facebook

www.fb.com/Filistinashabab

www.filistinashabab.com

منشورات: جيل للنشر

JEEL PUBLISHING

المدير العام: سني ميو

فريق عمل "فلسطين الشباب":

المؤسس والمدير المسؤول:
تيسير مصرية

المحرر:
طارق حمدان

تصميم جرافيكي:
تامر حزبون

هيئة "فلسطين الشباب" الإستشارية:
أسماء عزايزة ـ حيفا
أيمن حسونة ـ الأردن
رشا حلوة ـ عكا
شريف سرحان ـ غزة
صابرين عبد الرحمن ـ رام الله
عامر شوملي ـ رام الله
منذر جوابرة ـ بيت لحم
مي عوده ـ رام الله

تصميم
turbo-design

الصفحة الالكترونية
عمرا لتقنية المعلومات
Amra Information Technology

المواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي
"فلسطين الشباب"

العدد 197 أيار 2023

زياد الجيوسي

سارة أبو معروف،
في انتظار الزوار

الأعمال الكتابية

بكل ما أوتيت من حق | أماني الشرفا 6
عن نضال الملح والماء | سمير الأسعد 20
من يوميات أسير محرر | لميس أبو تمام 26
بسمة خجولة تعلو وجهي | مهيرة جازي 28
عودة إلى "الضوء الأزرق" | هند رمضان 32
الجهل.. السلطة الأكبر | سالم حوراني 36
حلوى جدتي في يافا | دعد الصريف 40
أنتظر تلك العناية.. | مي عبيات 44
عزيزتي فانيا | يسري الغول 48
مهارة فن الخطابة والإلقاء | عهد الجردات 52
المجلات العربية بين الموت الورقي والولادة الإلكترونية | فراس حج محمد 56
عن الديمقراطية الإلكترونية | عبده حقي 62

صفحة من كتاب 10
ملصقات زمان 46

الأعمال الفوتوغرافية

2 روان ناصر الدين
4 زياد الجيوسي
6 جهاد صالحة
21 وفاء الضامن
27 ميساء الشاعر
29 طلال أبو حصيرة
35 صوفي لورانت
36 أحمد البظ
39 لمى عبيد
40 نايف حموري
44 - 48 مؤيد ريحان
52 نور طايع
55 محمد حرب
57 زيد حداد
62 جمال عيد
66 داوود أبو معروف

بكل ما أوتيت من حق

أماني الشرفا

وأنـت قلبـي ضعيـف النبضـات وحـالي الصامـت، وخصـلات شـعري التالفـة وهـزلان جسـدي

وأيامـي المتكـررة والحديـث العقيـم، والـشرود والفكـر غـير المتـزن، وأملي المفقـود ووجـودي في هـذا السـجن

سـببه أنـت كحالـة حـب مكسـورة الخاطـر، أنـت وطـن لسـت منصـف البتـة، ولا تجعلنـي عـلى مـا يـرام، متـى أعـود مقاعـدي الحياتية، كإنسـان يتنفـس بطبيعيـة فارغـة، دون رغبـة دون طمـوح ودون حاجـة، كـم مـن الجـرأة نحتـاج لنخـبر بانكسـارتنا المتواصلـة، كـشيء مـشرف وأصـل نجاحاتنـا، أي غربـة تلـك بـين ضمـور قلوبنـا كأطفـال والتعامـل معنـا، كصخـور عـلى شـاطئ يلملـم اللاجئـين المـوتى مـن رمالـه، لا أملـك صدقنـي مـن قلبـي إلا أمـر اللـه بإحيائـه؛ هـذا مـا شـاءت بـه موجـة الخيبـات التـي مـررت بهـا طـوال العـام؛ ولكـن المفارقـة أن تلـك المصائـب مـن وجهـة نظـر عمـري، هـي الحـبر الـذي يمـلأ صفحـات خاطـرتي بالكلـمات

جهاد صالحة، ألم غزة

والتي يصفق لها الناس بحرارة دون علم منهم بغرس القلم في أحشاء القلب كي يعبر عن وجعه.

ما تعلمته منك!

إن كان أحد منا ينوي إسعاد الآخر يجب عليه التأكد من حمله كفنه مع باقة الزهور الجميلة

لأنه سيلبسك إياه في كل لقاء وموعد؛ طالما يريد السيطرة عليك كحالة ضعيفة مركونة

للانتظار فحسب. كنت أظن نفسي أذكى من أن يطالني غدر أحدهم، أو يتشتت رأسي والآن حدث ما حدث ولا أمل باسترجاعه.

دائما احلامي واحساسي بالأشياء يسوقني للحقيقة ولكني أكذبها بصبر فاره؛ فلا يهون على القلب تقطيع نياطه بيده، وتركه عضو يعمل ليرضي سائر أعضاء الجسد، باستثناء الروح.

وما يربي القسوة في قلوبنا إلا تلك المشاعر التي أطلقناها، كفقاعات مائية ملونة وعادت الينا ضربات مطرقة، قامت بتفتيتنا مثل رغيف خبز في صحن حساء مغلي تحت الحطب.

وضاع الذي بقلبك مذ قررت الاستسلام كضحية، نهش شريان الحياة منها وكان من المنطقي موتها

ولكن في حالات الاسعافات الاولية وضماد الصبر عاشت كدمية في بيوت الغرباء أو معطف مخملي

على أكتاف وجهاء الطبقة المخملية، أي أنها في كلا الحالات فقدت نفسها عند فعل الموت أو النجاة منه.

للخلاص أنظر بعيون الأسد على مملكته، وإن نبح على العرين عابر طريق أزأر بكل ما أوتيت من حق.

ترويج وتوثيق افضل ما تنتجه فلسطين

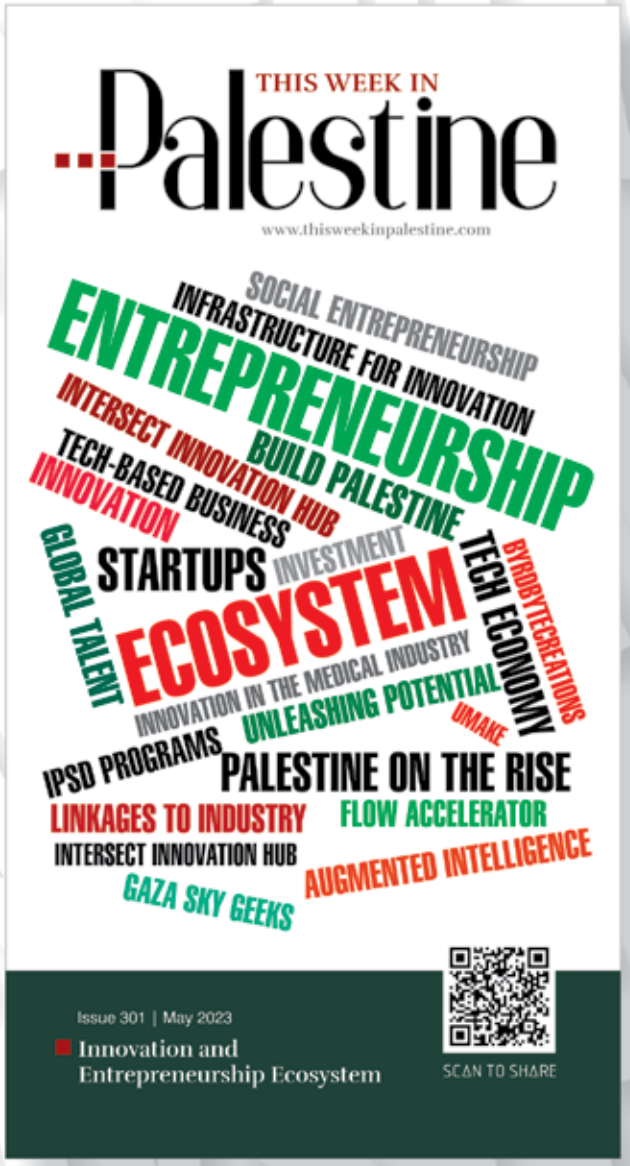

العدد 301 أيار 2023

النظام البيئي للابتكار وريادة الأعمال

سلمى الخضراء الجيوسي: أشعر بالحسرة لأنّ العرب لم يتمثلوا الرسالة التي حاولت إقناعهم بضرورتها

حاورها : يحيى القيسي

كلما التقيت د. سلمى الخضراء الجيوسي أو قرأت شيئا من كتبها أو سمعت عن جديد إنجازاتها وترجماتها لخدمة الأدب العربي والحضارة الإسلامية، أدخل في طقوس الحيرة لصعوبة تصنيفها، أو اختزالها في خانة ثقافية واحدة، فهي شاعرة رائدة، وناقدة متميزة، وباحثة مجتهدة، ومترجمة معروفة، ومحررة محترفة، وأكاديمية رزينة، وشخصية نسائية قائدة ، وهي بعد كل ذلك امرأة من خارج زماننا العربي، تواصل الليل بالنهار في العمل، ولو اطلعت وزارات الثقافة العربية على ما تقدمه من خدمة للحضارة العربية والإسلامية عربياً وعالمياً، لتعلمت منها الكثير، ولتمنت لو تضع شيئاً من خططها موضع التطبيق، لكن البيروقراطية المتفشية، وسوء التقدير الشعبي والرسمي للجهد الحقيقي، يجعل من الجيّوسي حالة عالمية الطابع أكثر منها محلية، لهذا فهمها الغرب وبوأها موضع الصدارة ثقافيا، وفتح لها دور نشره وجامعاته، ولكن الكارثة الكبرى أنّ بني جلدتها لم يدركوا بعد قيمة جهودها، وربما هذا ما يدعو للأسى، وبالطبع فإنني أجدني هنا في وضع صعب من تقديمها في بضعة سطور، وربما يكفيني الحوار بعض المشقة، ليدل على ما تتمتع به من قدرات ثقافية خبيرة، ونظرة ثاقبة للوضع الذي تعيشه الأمة العربية من الناحية الثقافية، وما الذي تريد أن توصله للعالم في مشروعها الرائد "بروتا"، وحوار الشرق والغرب. وأية محاولة لتعداد ما ألفته من كتب أو أشرفت عليه أو قامت بتحريره أو تقديمه أو لمحات من سيرتها الذاتية والعملية سيبدو ضربا من العبث، فكتبها وإنجازاتها شاهدة عليها ومفخرة لكل عربي ومسلم .

هنا محاولة للإطلالة على عالمها الغني، ونهل شيء من خبراتها المقطرة، وآرائها الجريئة :

– قلت في حوار أجريته معك قبل نحو خمس سنوات أنك تتوقين إلى كتابة سيرتك الشخصية على شكل لوحات كتابية، فهل أنجزت هذه السيرة، وكيف يمكن لك أن تبيّني لنا ملامحها ؟

– الكثير من الأصدقاء وعدد من الناشرين الأجانب يطلبون مني أن أكتب سيرة حياتي. إلا أن كتابة سيرة مليئة بالأحداث الشخصية والعامة وبالأفكاروالتنظيرات يتطلب وقتا كثيراً لم أمنحه بعد إلى نفسي، فعلى سيرة حياة حافلة كسيرة حياتي أن تستند على بحوث مجددة للتأكد من التواريخ والوقائع الحقيقية التي قد تكون حملتها الذاكرة بصورة انتقائية فتركتها أحيانا مبتورة أو أكثر تألقا أو تجهّماً مما تستحق.

إنّ هذين الوضعين: التوهّج أو التجهّم في ذكرياتنا، شرعيان في استرجاعنا لذكريات ما حدث فهما يعبران عن رد فعلنا يومئذ للحدث ثم استمراره في ذاكرتنا على مرّ السنين وما يمكن أن يكون تأثير ذلك علينا، إنّما لا بد في كتابة السيرة من وضع المقابل الواقعي للحدث لا سيما الحدث السياسي الحاسم، وكم أثّرت أحداث هذا العصر في حياة الفرد! لابدّ من مقارنة انطباعاتنا التي حملتها الذاكرة مع واقع ما حدث، وأحيانا تعليل اختلافهما إذا كان

ثمة اختلاف. هذا يجعل كتابة السيرة أكثر تعقيدا لا سيما في ظل الأحداث الجسيمة التي مررنا بها كأمة ومر بها الشعب الفلسطيني خلال العقود الماضية ، وعليه لا بد من التمحيص والتوثيق لأنّ الذاكرة في النهاية لا تؤتمن كليا. وإنّ عملاً كهذا يحتاج إلى تفرّغ كامل له وأين أجد الوقت لهذا التفرغ للذات وقد ربطت نفسي طوعاً بعدد غير قليل من المشاريع المتعددة المواضيع والطبيعة .

إلا أنّي دونت الكثير لا سيما تجربتي في هذا العمل الذي كرّست له نفسي وهو نقل ما أستطيعه من الثقافة العربية إلى العالم . ولما لم تكن تجربتي هذه مبعثاً على الغبطة الدائمة فيما يتعلق بالآخرين، فإنّي أوثر أن لا أنشرها الآن بتفاصيلها المرهقة لأنها لا تعكس أفضل ما عندنا. المهم هو أنّ العمل استمر وأينع ونجح واعترفت به الأوساط المهتمة في الخارج وملأنا رفا طويلا من المكتبة العالمية بكتب بعضها محرّر وبعضها مترجم إلا أنّها جميعها مكرّسة لخدمة الثقافة العربية بلغة رفيعة وتركيز وتخطيط ومستوى لا يمكن أن ينجح أي مشروع من دونه .

إن حياتي آلة دائرة لا تتوقف .

ولكني لم أهمل تصوير جزء من تجارب الحياة التي مررت بها ، فبدل كتابة سيرة تبدأ يوم ميلادي في السلط وتنتهي هنا في عمان بعد حياة سعيدة في فلسطين ثم جولة تدير الرأس في أنحاء العالم الواسع ، اخترت أن أصوّر، عبر لوحات كتابية، قطعا من تجربتي المتلونة في الحياة بقيت في ذاكرتي بكل تفاصيلها. عندي ثلاث لوحات عن تجربتي في فلسطين (طفولتي وشبابي الباكر في عكا؛ تجربة نكبة 1948: وتجربة دير ياسين، أيضا سنة 1948.) وقد كتبت لوحة عن شغفي بالجمال وتجربتي في هذا المجال، وأخرى عن جدي وجدتي لأمي.. إلخ. في النهاية ستتحدث هذه اللوحات عن حياتي كثيراً فتبرز المرأة التي هي أنا خلال تجاربها الكثيرة دون أن تلتزم بالتسلسل الزمني لهذه التجارب. وهذه ستصدر بالإنجليزية والعربية .

– من الواضح أنك ألزمت نفسك بالعمل ليلاً ونهاراً على مشاريع كتابية داعمة للثقافة العربية ،ولاسيما في الغرب، وهذا ما سبب ظلماً لجانبك الإبداعي كشاعرة، فهل تشعرين اليوم بأيّ ندم على هذا الأمر

– ندم؟ أبدا، ولكن، إلى حد ما، أشعر بالأسى ليس لأني ظلمت نفسي كثيرا في سبيل إبراز أهمية الحضارة والثقافة العربية وقوة الإبداع العربي فهذه أهم من كلّ شيء آخر، ولكن لأني أشعر بأنّي لم استطع في النهاية أن أوطّن هذا العمل الناجح (لا بد من قول هذا فالنجاح هو أساس في الموضوع) بشكل يضمن له استمرارية أكيدة في العالم العربي لأمدٍ طويل يحمل عبئه آخرون بعدي. في رأيي ليس أمامنا في علاقتنا بالعالم عمل أكثر أهمية من نقل ما أمكننا من ثروتنا الأدبية والفكرية ومن تراثنا الغني الذي لا يعرفه جيدا حتى أهله إلى هذا العالم.

لقد مثلنا جزءاً حيوياً من حضارة الإنسان ولكن المعرفة حول دورنا الأساسي التأسيسي في هذه الحضارة تراجعت وغُتِّم عليها وقبلنا نحن ذلك. إنّ ما حدث عبر القرون القليلة الماضية هوأن تلك الفضائل العربية العديدة، ذلك التفتح الحضاري المتألق الذي لازم الإنسان لقرون ثمانية على الأقل من العلم والرقي الفني الرفيع تقلصت جميعها في أعين الآخرين، لا سيما الغربيين منهم، وانكفأت في رؤاهم عنّا إلى مجرد نزعات أصولية واقتتالية إو إلى صورة ساخرة للجمل والصحراء ونساء الحريم. لقد اختار الغرب يوما أن ينسى وتقبل ذلك العرب الحديثون، وهنا ابتدأت المعضلة. هذا ما يكمن في جذور الإشكالية الحضارية اليوم وما يُجرّيء الآخرين على محاولة محونا من تاريخ الحضارة الإنسانية: حقيقة أن العرب المستعمَرين فكرياً رضخوا، حقيقة أن بعضهم أحنوا رؤوسهم واستكانوا، حقيقة أن بعضهم فقدوا رؤيتهم للحقيقة والتاريخ وقطعوا حبال الذاكرة ولاذوا بالصمت!

وهذا يبعث على المرارة العميقة.

بالنسبة لردّ فعلي الشخصي لكلّ هذا فإنّي أشعربحرقة قوية لأن الزمن أمامي لم يعد فيه متسع كبير للإقناع ولتغيير عقول لم تدرك بعد أوليات الأمور وحتميات وضعنا في العالم. إن أغنى ما عندنا اليوم وأهمه هو ذلك التاريخ الثقافي الغني قديمه وحديثه الذي فيه وعبْره نستطيع تأكيد دورنا في مسيرة الإنسان الحضارية وهو دور حاسم، وأن نصبح جزءا مرموقا من حركة الإنسان وتقدمه بدل هذا التهميش المذل الشائن .

إنّ أعداء ثقافتنا أقدم وأقوى من أعدائنا العسكريين. وأعداؤنا العسكريون ركّزوا كثيرا على تهميش حقيقتنا الثقافية المتميّزة مستغلين استسلامنا لأن الجهل بها يجعل منّا أمة بلا قيمة حقيقية نحتل بها مكاناً راسخاً من العالم الحديث.

– ولكن هل هذا الوضع سائد في جميع الأوساط في الغرب؟

– لا، ليس سائداً كليا فأنت إن قدّمت شيئا له قيمة فإنّ العالم، غربه وشرقه، سيقبله دون تعقيد كبير. الجودة مُفحمة وتفرض نفسها. منذ بدأت عملي على هذه المشاريع لقيت إيجابيات في الغرب أكثر وأكبر وأنجع مما لقيته في العالم الذي أحبه وأخدمه بكل قوتي. الغربيون فهموا جوهر عملنا وإتقانيته وأقبلت دور النشر العالمية على نشر أعمالنا، فأنا أجد الناشر الكبير قبل إنجاز الكتاب، وهذا لم يحدث بعد كثيرا للكتاب العربي. ثم أني عملت مع بعض أرقى الشعراء الغربيين وأشركتهم في ترجماتنا الشعرية. فقد ترجم معنا سبعة شعراء مرموقين شعر نزار قباني وترجم معنا تسعة شعر محمود درويش واشترك كثيرون منهم بترجمة بقية الشعر العربي الذي قدّمناه إلى الغرب. هذا وحده كان يجب أن يلفت النظر إلى جدية ما نقوم به وعلوّ مستواه ، قدرته أن يصل إلى أعلى الأوساط الثقافية ولكن لا أحد يهتمّ بدراسة أبعاد العمل ودلالاته. لا أحد يصرف وقتا وجهدا ليتبيّن حقيقة الأشياء وجوهرها .

العـرب لم يـدركوا أهميـة التـداخل الثقـافي والحضـاري المبني على أسـس مدروسـة تفهـم عقـل المخاطبيـن وتتسـلح بـأدوات العمـل الجـاد المتقـن. ومـع أنّ بعـض الـدول العربيـة اهتمت بمـوضـوع التـرجمة إلا أنها لـم ترسم مخططـاً واسعـاً لإضاءة جـوهر الحضـارة العـربيـة وقـوة إنجـازاتـها وعـلاقـة هـذه الإنجـازات بالآخـر وتـأثيرهـا عـلى الحضـارة الإنسانية، تـداخلها معهـا. بالطبع هـذا جميعه لا يتـم عن طريق التـرجمـة وحـدهـا، ولا بـد من القيـام بمشـروع واسع من الـدراسـات المـوثّقة حول المـواضيع المهمـة في تـاريخنـا. ولهذا السبب أسست إلى جانب مشروع الترجمـة (بـروتـا) الذي بدأتـه في مطلع الثمانينات مـشروع الدراسـات (رابطـة الـشرق والغـرب) في مطلـع التسـعينات وبـدأت هـذا الأخـير بالكتـاب الكبـير الـذي حررتـه عـن الحضـارة العربيـة في الأنـدلـس (1992) ومنـه انطلقنـا إلى مشاريع أخـرى مماثلـة. ومـا يجعل عملاً كهـذا ممكن النجـاح والإيصـال الحـاسم هو أن الاستعـراب الغـربي إجـمالا أصبح غيـره في المـاضي (أنـا هنا أميزه عـن الصحافة الغربية وتأليـف الكتـب المعاديـة لنـا التـي يكتبهـا المغرضـون ومـن بينهـم عـدد مـن المسـتعربين يتقلـص باستمـرار).

لقد برز إلى الساحة الأكـاديمية عدد غير قليل من المستعربين اختصـوا بـدراسـة إيجابيـة عن نـواحٍ من هـذا التـاريخ الشديد الغنـى والإبـداع وبشيء غير قليل من المـوضوعيـة والصـدق. لقـد عمـل عـدد كبـير منهـم معـي عـلى كتـاب الحضـارة العربيـة في الأنـدلس (بنسـبة 38 مـن أصـل42 باحثـا) وعمـل عـدد أكبر معنـا عـلى كتـاب المدينـة في العـالـم الإسـلامي وهـو كتاب موسـوعي عن المدينة الإسـلامية، تاريخها، مواصفاتهـا، تطورهـا في العالم الحديـث، هـو وشـيك الإنجـاز، كـما اشـترك معـي أغلبيـة منهـم في كتـابي الـذي أحـرره عـن السرديات القصصية العربية في العصور القديمة وهو أيضا قـريب الإنجـاز. مـا أود قـولـه هو أنّ جـداراً من النُكـران والتشـويه والتعتيم قد انهـار بسـبب تبلـور الدراسـات والبحث العلمـي الحـديث وتفتـح العيون على مـاض استـشراقي مـزيف بعد مـا كُتب من دراسـات حول الاسـتشراق السـلبي لاسـيما دراسـة إدوارد سـعيد المتميزة التي غيـرت الـوضع القديم البـائس بشـكل لا رجعـة فيه.

– لكنـك لم تجيبـي بعـد عـن مصـير تجربتـك الشـعرية ومـا آلت إليه اليوم بسـبب مشـاغلك البحثية والتأليفيـة الأخرى ؟

– لـدي شـعر كثـير لم أنـشره بعـد، ولقـد أهملـت هـذه الناحيـة لأسـباب كثـيرة وليـس فقـط لازدحام حياتي بالعمل. من هـذه الأسـباب هو أن الشـعر العربي راح يسـير في طريق مسـدود وأشـعر أنّـه لا علاقـة لهـذا الشـعر الـذي يُكتـب الآن بمفهومـي عـن الشـعرالجيد. الكثـير من الشـعر اليـوم يعـاني مـن تشـويش هـائل بالصـورة، وإهـمال للمعنـى الشـعري وللموقـف والرؤيـا في الشـعر. ثمـة تأكيـد عـلى اخـتراع الصورالمعقـدة التـي لا تقـول شـيئا في النهايـة. الصـورة الجيـدة يجـب أن تكـون متحـدة بالمعنـى، والمعنـى يجـب أن يعـبر عـن شيء حيـوي

وغالبا يكـون تعبيـراً عن الوضعيـة الإنسانية. ثمة أسبـاب أخـرى أيضـا بعضها يدور حول التشـويش الواضح في التعامـل مع الشـعر وإبـراز شعـراء يحتلـون مراكز وظيفية حساسـة وضعف النقد واختزاليته لمواقع الإبـداع الحقيقي في العمل الشـعري. كان الـوضع الشـعري شـديـد الاختـلاف في الخمسينـات والستينـات .ولكني استجبت مؤخرا لأحـد الناشرين في أمريـكا وسـأصدر مجموعـة شـعرية باللغتـين إذا تيسـر لي الوقت .

– دعينـا نتحـدث بصراحـة عـن حـال الثقافـة العربيـة اليـوم وبيـان بعـض مشـاريعك التـي سـاهمت في إيصـال حضارتنـا وفكرنـا إلى الغـرب ؟

– إنّ الثقافـة العربيـة تعكـس هبوطـاً متلاحقـاً اليـوم ولهذا أسبـاب متعددة . أولهـا أنّ جيل الشـبان اليـوم لا يعـرف أيـا مـن اللغـات الرئيسـية في العـالم إلا بشـكل مبتـسر. وهـذا غـير مقبول فثمـة فـائدة كبيرة يكتسبونها من إتقـان واحـدة أو أكثر من اللغـات الحيـة التي كتبـت فيهـا نظريات النقد والفلسـفة والتحليـل الاجتماعي والتاريخي والسـياسي. إنهم عـالة عـلى مـا يتـرجم سـواء كانـت الترجمـة جيـدة أم مضطربـة. لا شـك أن الذنـب في هـذا يقع عـلى المحكمـين في أمـر التعليم والثقـافة .

ثـانيا، إنّ الجهـات المسـؤولـة غـير متأنيـة إجـمالاً ولا تـدرس دائمـا الأمـور ولا تتعـرف عـلى الأوليـات. أمـا التشـجيع الحقيقـي فهـو لا يتبع مصلحة الثقافـة وحدها ولكنـه يعتمد على مصالـح أخـرى غير عامـة .

ثالثـا وهـذا غايـة في الأهميـة: تدخلـت في الثقافـة العربيـة اليـوم عنـاصـر لا تعتمـد عـلى تاريـخ ثقافي طويـل أو خلفيـة متجذرة في الأدب والمعرفـة. وبعضهـا هيمـن عـلى المخطـط الثقـافي وسـيطر عـلى الدفـة .

رابعـا إنّ الجـو العـام اليـوم أصبح مختلفاً كل الاختـلاف عـن الجـو الـذي نشـأنا عليـه في القـرن المـاضي. لقـد كانت الخمسينـات والسـتينات فـترة شـديدة الغنـى وعظيمة التفـاؤل بمستقبل الثقافـة العربيـة. إلا أن ما حدث مباشرة قـوّض كل هذا : لقـد جـرى اختـلاط كبـير في غـمار المثقفـين إذ فتحـت جامعـات وطنيـة كثـيرة شرّعـت أبوابهـا إلى كل طالـب نجـح جيـدا في التوجيهيـة أو الباكالوريـا، وهـذا حـق مقـدس لهم لا بـد منـه لأنـه يعطـي فـرصا طيبـة لأذكيائنـا، إلا أن عـددا غـير قليـل منهـم كان منحـدراً من خلفيات محـافظة وبعيـدة عـن أجواء الثقافـة العميقة وفذوذية التفكيـر المـرن المتفتـح فالعلـم ليـس هـو وحـده المكمـل للثقافـة.

إن هـذا الـوضع تسـبب كثيـرا في ترسـخ الفكر السـلفي المحـافظ واتصـف جزء منه بضيق الـرؤيـا وترابيـة التفكير، ممـا انحدر بالثقافة إلى بـؤرة عميقـة.

خامسا ، فقد النقد شروطه وانبرى كثيرون إلى الحديث عن ألمعية غير اللامعين وعبقرية العاديين لا سيما عندما يكون هؤلاء متبوئين مراكز ثقافية حساسة. فاختلط كل شيء على القاريء . كان هذا القاريء ضحية هذه الأوضاع في البدء ولكنه، بعد أن تركزت هذه الأوضاع وثبتت استمد قوة العادة وساهم في ترسيخها وتنميتها.

سادسا: في مجال البحث العلمي وجدت بعد تجربة عسيرة أن الكثيرين ممن يعملون في البحث العلمي والنقد الموثّق لا يتقنون توثيقهم ويهملون مناحي كثيرة منه غير موثقة. إنّ الافتقار إلى الدقة والتمحيص شيء لا يغتفر لمن يعمل في مجال العلم والأبحاث. والذنب يعود إلى أولئك الذين يقبلون منهم عملاً ناقصاً.

– ماذا لو أطلعتنا على بعض المشاريع التي تنجز في مؤسستك وبعضها قد صدر حديثا أو على وشك الصدور ؟

– إنّ آخر كتابين صدرا لنا هو أوّلاً كتابي المُحرّر عن القدس (القدس مدينتي: دراسات، قصائد ، ذكريات) والآخر هو (مجموعة الفنون القصصية الحديثة) . هذا الأخير من نصف مليون كلمة وفيه 187إدخالاً لأكثر من 140 قاصّا وروائيا من جميع أقطار العالم العربي فلم أترك بلدا واحدا لم أمثله ، وللكتاب مقدمة طويلة عن تاريخ القصص العربي لا سيما الحديث . لقد كنت أتوقع له استقبالا طيبا لأنا بذلنا جهدا كبيرا في إتقانه وضمان شيء من شمولية المحتويات كما يسمح المجال الذي يظل محدودا ، إلا أن استقباله كان أبعد من التوقع فقد أعطته صحيفة الواشنطن بوست في العاصمة الأمريكية موقع الشرف في عددها الصادر في 2005/8/7 بمراجعة متوهجة ليس فيها التحفظات العربية المعتادة وإظهار عضلات المراجع، وكتبت عنه الصحف البريطانية كتابات طيبة جدا وأقيمت حوله ندوتان إذاعيتان والحبل على الجرار. لقد ذكرني بيوم صدور كتابي المحرر عن الحضارة العربية في الأندلس. هذا الأخير صدرت عنه على مر الزمن، أكثر من مئة مراجعة إيجابية .

أما الآن فقد انتهينا من ثلاثة كتب:

الأول هو (مجموعة الفنون القصصية العربية القديمة) وهو كتاب جمع منتخبات من القصص العربي القديم منذ الجاهلية حتى نهاية القرون الوسطى . إن القصص العربي القديم شيء مبدع، مذهل في تنوعه موضوعا وتقنية وأسلوباً، شيق في تصويره الدقيق لحياة العرب في تلك العصور ولرؤاهم الوجودية. كنت أتمنّى أن يكون عندي متّسع من الوقت لأجعله صنوا في الحجم لمجموعة القصة العربية الحديثة أعلاه ولكني أشعر بأنّي يجب أن أسلمه للنشرالآن بعد أن تأخر بين يدي مدة أطول من المتوقَّع بسبب عملية أُجريت لي أوقفت كل عملي فترة من الزمن، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بسبب صعوبة الترجمة التي لم أكن أتوقع صعوبتها ولكنها اضطرتنا إلى إعادة ترجمة الكثير من المنتخبات مما كلفنا جهدا إضافيا وكلفة أكبر وزمنا أطول من المرجوّ. غير أني الآن راضية عن هذه المجموعة كل الرضا، وهي الأولى من نوعها بالإنجليزية في العالم.

الثاني: انتهيت مؤخرا من الإشراف على ترجمة مجموعة كبيرة من الأدب السعودي الحديث، وهي تحت النشر الآن . كان هذا العمل ضروريا جدا بالنسبة إلى التحامل الغربي اليوم على العرب والإسلام وعلى السعوديين بشكل خاص، فالكِتاب يقدّم كُتّابا وشعراء سعوديين يقف عدد كبير منهم شهوداً على عصرهم، يقظين على حركة الحياة فيه وعلى موضعهم كعرب في زمن العدوان والانتقاص. إنهم يمثلون مختلف التوجهات الفكرية والوجودية التي يعيشها المبدعون السعوديون، وكذلك مختلف المدارس الفنية من الأسلوب التقليدي في الكتابة إلى الأسلوب الحداثي المعقد. والمجموعة تغطّي كافة الأجناس الأدبية من الشعر إلى القصة القصيرة إلى منتخبات من الرواية والمذكّرات الشخصية (وهي، بشكل خاص، رائعة في هذه المجموعة) إلى المسرح الذي يمثل الحداثة وما بعد الحداثة.

ومن الناحية الموضوعية نجد تعدّدية مدهشة في الموقف من الوجود، ونكتشف وعياً رائعاً عند المرأة السعودية بقيمتها كإنسان، واهتمامها بتأكيد وجودها المستقل في العالم، وبالدفاع عن حقها وإنسانيتها. أنا سعيدة جدا بأني أشرفت على إخراج هذه المجموعة التاريخية المهمة في هذا الوقت الحرج الشديد الإساءة الكثير التشويش للحقيقة التي يعيشها المبدعون السعوديون، وهي تصدر في الربيع المقبل عن دار طوروس في لندن ونيويورك .

الثالث: وتصدر لنا أيضا في الربيع المقبل مجموعة نوادر جحا، عن دار إنتيرلينك في نيويورك ، وهي مجموعة شيقة حاولت فيها أن أجد الخط الشمولي الذي يربط هذه النوادرالجحوية بأخرى مثلها في الأدب الشعبي العالمي . وقد كتب لها مقدمة متميزة الدكتور سعيد يقطين .

هذه كتب أُنجزت، أما الكتب قيد الإنجازفهي أيضا ثلاثة :

الأول: هو كتاب السرديات العربية الكلاسيكية : القصصي منها على وجه التحديد، كتب لنا لهذا الكتاب عدد من أهم المختصين من أجانب وعرب . هذا الموضوع بدأ اليوم يحتل مكانه الصحيح في المكتبة العربية والعالمية. كان الشعر وولع العرب بالشعر قد غطّى بضراوة على أهمية الإبداع المتفوق المتعدد الأجناس والأساليب في كتابة القصة. وقد شعرت بأسى شديد عندما اكتشفت ذلك الغنى الشاسع في الفن القصصي الذي كتبه العرب منذ الجاهلية وكان لا بد لهذا الاكتشاف من أن يجد طريقه إلى كتاب جمع دراسات مفصلة حول الموضوع. قسمت الكتاب إلى ثلاثة أقسام : الأول يتحدث عن النوع القصصي :المقامة والحكاية والرواية (كحي بن يقظان)، وقصص الحب ،وأيام العرب ،والقصص العجائبية ،وألف ليلة وليلة والنادرة والخبرإلخ . والقسم الثاني يتناول تأثير الأدب القصصي الكلاسيكي القديم على الآخرين غربا وشرقا ، أما القسم الثالث فيتناول تأثر الأدباء العرب المعاصرين كجمال الغيطاني على سبيل المثال بأساليب السرد القديمة. سيصدر هذا الكتاب باللغتين العربية والإنجليزية .

الثـانـــي: كتـاب كبيـر متخصص بموضـوع المدينة في العالم الإسـلامي، فقد صممـت أن أحرر كتابـا في هـذا الحقـل بعـد أن اكتشـفت أن المـؤرخ الأميركي المعـروف لويـس ممفـــورد كتـب كتابـا كبـيرا عـن المدينـة في التاريـخ ،ولم يذكـر مدينـة إسـلامية واحـدة، ولقد تسـاءلت بحسرة حينهـا : هـل كنـا كعـرب ومسـلمين هبـاء ؟ وأيـن هـي مدننـا التاريخيـة التـي تمـلأ العـالم؟ قـررت عندهـا أن أحـرر كتابـا عـن المدينـة الإسـلامية وظللـت أسعـى لهـذا حتى اسـتطعت البـدء بـه بعد تسـع سـنوات من المحـاولـة المتتابعـة. وقد دعوت لتحريره ثلاثة من أشـهر المختصـين بالمدينـة الإسـلامية في الغـرب، وهم الفرنسي أ.د. أندريه ريمونـد، والإيطالي د. أتيليو بيتروتشـيلي (الـذي احتـل كـرسي الأغـا خـان مـدة خمـس سـنوات في جامعـة التيكنولوجيـا الشـهيرة ال إم. آي. تي. في بوسـطن)، والأمريكيـة أ. د. ريناتـا هولـود في جامعـة بينسـيلفانيا. الكتـاب انتهـى عمليا وسـيصدر باللغتـين العربيـة والإنجليزية عـن دار بريل، ومركز دراسـات الوحـدة العربيـة في بـيروت .

الثـالـث: مجمـوعـة كبيـرة لمحمـود درويش ترجمهـا معنـا تسـعـة من الشعراء الأمريكان والإتجليـز المرمـوقين. ،أكتب لهـا مقدمـة أرجو أن تكـون معبـرة عن الموهبة النـادرة في العـالم التـي رُزق بهـا هذا الشـاعر. وقـد تـرجمنا مختـارات من أغلـب دواوينه بما في ذلك ديوانه الأخيـر كـزهـر اللـوز أو أبعـد.

والمشـاريع مستمـرة لا تنتهـي، تمامـا كمـا يجـب أن يكـون هـو الحـال في وضعنـا الحضـاري الحـرج في العـالم اليـوم.

- بالمناسـبة مـا هـي أبـرز العوائـق والإشـكاليات التـي واجهـت مشـاريعك، وكيـف تعاملـت معهـا ؟

- لم تواجهني أهـم مشـكلة تواجـه العـرب وهـي أولا النـشر في دور النـشر الكبـيرة في الغـرب ، فقـد تعاملـت معـي كبريـات دور النـشر العالميـة ، وفتحـت لي أبوابهـا ، وقـد اشـترك معـي أحسـن الكتـاب والباحثـين الغربيـين أيضـا ، لم أتعـب في الوصـول إلى النـاشر الجيـد أبـدا ، بـل كان هنـاك أحيانـا أكـثر مـن نـاشر يتسـابقون عـلى كتبنـا. والثـاني اشـتراك عـدد كبيـر مـن الكتـاب والشـعراء والباحثـين الأجـانب معنـا في هـذا العمـل. العـذاب جـاء مـن الـوطن أحيـانا. والحق أني لـولا المعـانـدة الكبيـرة التـي اكتشـفتها في نفسي لمـا تمكنـت من عمـل إلا القليـل. المسـؤولون العـرب لم يتمثـلوا جـوهـر المـوضوع ولـم يقدّروا كما يجب النجـاحـات التي لقيها عملنـا ودلالات هذا النجـاح . كل شيء عندهم سـواء. لا يدرسون الأمـور، ولا يسألـون العـارفين ، ولا يحاولـون أن يقابلـوا بـين مواقفهـم والمواقـف الناجحة في العالم التي تخـدم الثقـافـة والفـن وصنوف الإبـداع والدراسات الحضارية خدمة حقيقية منتجـة. أشد ما عطّـل عملي أحيانـا هو إصـرار بعض الجهات التي تقدم منحـة إلى مشروع مـا أن يلتـزم القائمون بفترة زمنيـة محـددة ولكن الكتـاب الكبير يحتـاج إلى وقت وجهـد لإنجازه،وهو ليـس آلـة بـين يديـك تديرهـا كيفما اتفق ، فإن مـرض المـرء أو حدث مـا أخّـر العمل صاح بعض المـانحين (وهم قلة) يطـالب بمنحتـه أو بـرأس القائمـين عـلى العمـل: لا تـأنٍ، لا دراسـة للأمـور، لا أرسـطوقراطية فكرية أو ثقافـة حقيقيـة تـدل عـلى معرفـة ولـو قليلة بأصـول العمـل وملتزماته للـوقت والعلاقـات العمليـة مع الآخـرين: صعـوبتهـا البـالغـة أحيانا واعتمـادها عـلى عـشرات الأمـور الخـارجـة عـن إمكاناتنـا، لا شيء من هـذا عـلى الإطـلاق بـل تمثيل فـادح لـدور الـدائن في مسرحية شيكسـبير " تـاجر البندقيـة": رطـل مـن لحمـك من جهـة القلـب، أو، في حالنا نحن، حملـة إفسـاد وتشـويه.

ولكـن صـدور كتبنا بالتتـالي واسـتقبالها الإيجـابـي في الأوسـاط التي هي هدفنـا أي في الغـرب هو الجـواب الحـاسـم الذي نقـدّمـه إلـى العالم.

وقد يحاول مـانح مـا أن يتدخّـل بحـوهر العمـل وهذا أمر لم أسمح بـه قـط ورفضنـا عـددا مـن المشـاريع لمحاولـة من يـود تقديم منحـة لمشروع مـا أن يضـع شروطـا أكـاديمية بعيـدة كل البعـد عـن الدائـرة التـي تـدور فيهـا حياتـه. ولكنـي لم أخضـع مخططـي لأي إنسـان ،ولم أرضَ يومـا أن يضغـط عـلي أحـد .

غـير أن عالمنـا مـليء بالطيبـين المحبـين لثقافتهـم ووطنهم ولـو أنهم بعـد لـم يدركـوا أهميـة الخروج إلى العالم بثقافتهم وإبـداعهم وقيمة التـداخل الثقـافي المـدروس في هذا الزمن العصيب.

* نشر الحوار في القدس العربي اللندنية 2006

عن نضال الملح والماء

سمير الأسعد

هـو شـخصياً لا يحـب الملـح ويـأكل طعامـه حلـواً، ضغـط دمـه دائـم الارتفاع يصيبـه بالصـداع ويهـدد صحتـه وراحـة بالـه، معظـم الأطبـاء حـذروه مـن الإفـراط في الفـرح أو الحـزن والابتعـاد عـن المشـاكل ومصـادر الهمـوم، واليـوم قـرر الانخـراط في الإضراب مهـما كانـت النتائـج، لـن يتخـلى عـن زملائـه ولـو فقـد حياتـه.

الاعتماد على الملح والماء فقط لن يكون في صالحه.

لا ينكـر أنهـم نصحـوه بـل توسـلوا إليـه محاولـين إقناعـه بالعـدول عـن موقفـه قائلـين:

- نحـن نقـوم بالمهمـة عـلى أكمـل وجـه، أمـا أنـت فلسـت مطالبـا بـشيء أبدا ، انـت مريـض وليـس عليـك حـرج ، ارحـم نفسـك وارأف بـأولادك وزوجتـك، قـد يـأتي يـوم قريـب تخـرج فيـه بصفقـة وتفـوز بحريتـك ولعلـه يكـون قريبـا، دورك أن تشـحذ همـم الأسرى خاصـة صغـار السـن منهـم ممـن لم يخوضـوا الإضراب قبـل ذلـك، نحـن نعتمـد عليـك كثـيرا كونـك أسـير قديـم ولـك الخـبرة والحنكـة، وأنـت مثـل يحتـذى بـه ولـك مـاض مـشرّف داخـل السـجون والمعتقـلات.

لم يبد على أبو صمود أنه اقتنع وازداد عناداً وهو يقول :

- لـن اقبـل ان أكـون قوقعـة محشـورة في الزاويـة ولـن أتنـازل عـن المشـاركة ولـو كلفنـي الأمـر حيـاتي.

لم يجـد مسـئولو التنظيـمات داخـل المعتقـل سـبيلا لإقناعـه، فتوزعـوا عـلى جميـع الأقسـام ليقومـوا بواجباتهـم التنظيميـة يشرحـون لبقيـة زملائهـم مـا هـم مقبلـون عليـه.

- سـنقوم بعمليـة احتجـاج واسـعة و سنسـتخدم سـلاح الأمعـاء الخاويـة في موقعـة حيـاة أو مـوت: حيـاة أفضـل أو مـوت مـشرّف.

وفاء الضامن، إلى زوال

التحضير للإضراب احتاج ثلاثة أشهر على الأقل وهم يهيئون الأسرى معنويا ويزرعون في عقولهم القناعة ثم التصميم.

- سنربح المعركة رافعي الرؤوس.. ولن ننكس أعلام الرفض والتحدي.

آلاف الأسرى يخوضون إضرابا طويلا كما هو متوقع من أجل تحسين ظروف معيشتهم ومن أجل الحفاظ على كرامتهم وعزتهم.

بدأ اليوم الأول، الإعلان والإمساك عن الطعام والشراب باستثناء الماء والملح، وعند العصر نظر قائد الإضراب ابو مريم الى جسد أبو صمود المسجى على البرش، عيناه مغلقتان، تنفسه بطيء ويبدو على وجهه التعب، عند أذان المغرب بدأ لغط وأحاديث متفرقة بين الأسرى، يتذكرون رمضان.

- حان وقت الإفطار.. ولكن هنا إفطار متأخر قد يأتي وبعضنا قد فارق الحياة.

حاول أبو صمود القيام من برشه والذهاب الى دورة المياه، ارتعشت قدماه تحته ورجع جسده الى الخلف ، فأمسك بعمود الخيمة وهو يتأوه، أسرع إليه أحدهم وأمسك بخصره.

- لا تنهض مرة واحدة يا زميلي.. والتزم بالإرشادات.

- الظاهر أن الضغط عندي ارتفع.. أشعر بالغثيان.

كانت الخيام تحترق بلهيب الصيف القاسي، صيفا لم يمر مثله كما تقول الأرصاد الجوية، كانت دورة المياه بعيدة في طرف القسم الشمالي.. ترتفع عن مستوى الخيام ويصعد إليها بسبع درجات، تبدو مسافة طويلة ومضنية لمن لم يتناول الطعام منذ الصباح إلا قليلا من الملح كي لا تفسد المعدة وتتعفن ، والماء حار في براميل بلاستيكية تغطيها أكياس الخيش.

بدا أبو صمود متهالكا وهو يسير ببطء شديد يتكئ على اثنين من زملائه، كانت التعليمات تقضي بعدم المشي كثيراً والسير ببطء شديد لقضاء الحاجة فقط.

- يجب أن نظهر الإنهاك والتعب حتى لا يتم تصويرنا وتسجيل نقطة علينا يتم استغلالها في المفاوضات ونقلها لمندوبي الصليب الأحمر كما حصل في المرة السابقة.

سارت الأيام بطيئة تحمل حر الشمس على ظهرها وتسلطه على أجسام الأسرى، وفي صباح اليوم الرابع أعلن الأسرى أنهم سيقومون بالعد الصباحي والمسائي وهم نيام لأن العد في وضع الجلوس أصبح صعبا وستقتصر حركتهم على الذهاب للحمامات فقط .

الحرارة الشديدة قلبت الخيام إلى أفران في النهار والليل وهبت رياح خماسينية جافة زادت من معاناتهم وسحبت السوائل من أجسادهم عادلتها المياه الساخنة التي يشربونها .

حوالي الساعة الحادية عشرة صباح اليوم السابع انتبه الأسرى لصفارات الإنذار التي صمّت آذانهم وارتجت لها قلوبهم، فانطلقوا إلى خارج الخيام وعمّ الإرباك وهو يشاهدون أعداد كبيرة من الجنود في كامل عدتهم يرتدون الأقنعة ويحملون بنادق إطلاق الغاز يتبخترون بمشية عسكرية ويطلقون أناشيد القتال، أحس جميع الأسرى بقوة شملتهم بغتة وانسل الإرهاق من أجسادهم وكأن

شيئا لم يكن وخرجوا إلى الساحة. كان أبو صمود يقف شامخا ويصرخ بأعلى صوته:

- تورانيم.. استعدوا للقتال.

كان أصغر أسير في القسم يقف بجانب أبو مريم فأمسك بيده وهو يسأله:

- ما هي التورانيم؟

أجابه أبو تغريد بسرعة: "هم مساجين يهود جنائيين في أقسام خاصة بهم، يتم استخدامهم للقمع عندما يتعلق الأمر بنا، جهز نفسك لتتقي خطر الغاز كما تعلمت".

شعر كل الأسرى بقوة خارقة تجتاحهم وبأن لديهم طاقة لا متناهية في أجسامهم التي ألقت عنها الوهن والضعف وتحولت إلى كتل من العزيمة تجري فيها دماء حارة صلبة.

استمر العرض العسكري العنجهي ساعة من الزمن قبل أن يصدر أمر بالانسحاب، وجميع الأسرى يقفون خارج خيامهم يتشربون أشعة الشمس الحارقة، وعندما اختفى آخر جندي من جنود القمع بدأ الأسرى في كل الأقسام يكبرون ويهتفون لفلسطين وأصواتهم تصل خارج الأسوار والبوابات التي يحيط بها مئات من أهاليهم ومن المتضامنين معهم، الذين اشتركوا معهم بهتافاتهم وهم يرفعون الأعلام وصور الأسرى المضربين.

وفجأة ألقيت قنبلة دخان داخل القسم والقي غيرها على جميع أقسام المعتقل السبعة ، فحدث إرباك وتدافع، وزاد الأمر تعقيدا حين أطلق جنود أبراج المراقبة الرصاص في الهواء.

دخل الجميع الى الخيام واختبئوا تحت الحرامات والملابس كي يتقوا سحب الغاز ، ومنهم من حاول إغلاق الخيام منعا لتسرب الغاز.

تناثرت بعض الأجساد في الساحة، فاندفع البعض وهم يغطون أنوفهم بملابسهم وجروهم إلى داخل الخيام القريبة، وفي خارج الأسوار تفرقت الجماهير المحتشدة وابتعدوا عن تأثير عشرات قنابل الغاز التي ألقيت باتجاههم، بعد حوالي نصف الساعة انقشعت سحب الغاز، فخرج الأسرى من خيامهم وتقدمهم أبو مريم وهو يبحث عن أبو صمود هاتفا باسمه. اقترب ممثلو القسم من البوابة الرئيسية تجاه مدير المعتقل الذي وقف وهو يحيط وجهه بقناع يحميه من الغاز يحيط به عدد من الضباط والجنود، فصرخ به أبو عذاب طالبا منه إحضار طواقم الإسعاف وإخراج المصابين.

كان أبو صمود مستلقيا على ظهره داخل إحدى الخيام جاحظ العينين، فحمله أسيران بسرعة وادخلوه عربة الإسعاف التي وصلت باب القسم مع ثلاثة أسرى آخرين.

تحدث مدير المعتقل مع أبو عذاب ممثل المعتقل الرئيسي وحذره من تكرار ما حدث، إلا أن أبو عذاب أخبره أن جميع الاسرى مستعدون للموت إن تكرر الاستفزاز وضايقوا الأسرى المضربين مرة أخرى، وشدد على أن الإضراب هو احتجاج سلمي من أجل تحسين أوضاعهم.

استمرت الأحداث كما هي: الأسرى يطالبون الإدارة بالحديث معهم من أجل إنهاء الإضراب والإدارة تطالبهم بحل الإضراب وتناول الطعام أولا ثم التفاوض.

حاول ممثلو القسم معرفة مصير أبو صمود إلا أن الإدارة تكتمت ورفضت الإدلاء بأي تصريح حوله. في اليوم الحادي عشر للإضراب انتشرت إشاعة تقول أن أبو صمود استشهد، إلا أن الخبر لم يؤكد وتسرب خبر من مستشفى السجن يقول أنه يعيش ولكن على الأجهزة.

في اليوم العشرين سمح لممثلي الصليب الأحمر بدخول المعتقل ، وبعد أن اجتمعوا مع إدارة السجن طلبوا ممثلي الأقسام، فاجتمعوا معهم وأخبروهم أن إدارة المعتقل قد تفاوضهم خلال يومين بحضور مندوبيهم، وعندما سألوهم عن أبي صمود جاء جوابهم ضبابيا دون تفاصيل أو تأكيد لحالته.

في اليوم الثالث والعشرين أدخل المستشفى عشرة أسرى تدهورت حالتهم الصحية، وفي مساء نفس اليوم أبلغ الصليب الأحمر الأسرى بأن إدارة المعتقل تراجعت عن مواقفها في الحديث مع الأسرى قبل أن يحلوا الإضراب بالكامل.

في اليوم الثامن والعشرين دخل عدة ضباط مخابرات كبار على غرفة العناية المركزة داخل مستشفى عسكري خاص ملحق بالمعتقل يرافقهم طبيب اقترب من جسد النزيل الوحيد الذي تربطه أسلاك وأجهزة طبية تحيط بسريره، فتح الطبيب ملفا يحمل اسمه وصورته، وأشار إليه وهو يقول

- حالتك الصحية تحسنت عن ذي قبل، لهذا سنبدأ الآن تغذيتك حتى تعيش وتمضي بقية محكوميتك، الأمر صعب للغاية وعليك أن تحتمل.

ارتجف جسد أبو صمود وترددت صرخة في أعماقه والطبيب يباشر عمله، ما كان يخشاه في اسوأ كوابيسه يحصل الآن وهو في أضعف حالاته، لم يقتله الأسر أو الماء والملح أو الغاز ولكن سخرية القدر قد ترخي جدائلها وتقضي على أبسط حاجاته من الغذاء الذي سيتناوله قسريا والذي سيقتله حتما.

من يوميات أسير محرر

لميس أبو تمام

"كي نكون عظماء.. علينا أن نتألم بصمت" كلمات حفرتها بين شقوق هذه الجدران، الخالية من أي روح. مع أن جدران بيتنا يملؤها الشقوق أيضاً، لكنها كانت دائما رمزاً، و فناً من فنون حياتنا.. لا أعلم كيف مرت هذه الكلمات أمام عينيَّ قبل عام، قرأتها في مكان ما أم سمعتها من أحد، أم هي وليدة أفكاري المحمومة.. حقا لا أعلم. لكني أعلم بأنها هنا، تنام بجانبي في النصيب الأعلى من الأسرّة المصطفة بعشوائية. لم يزعجني مكاني يوماً، فهو في آخر زوايا الزنزانة المظلمة، أرى من مسكني هذا كل من حولي و أسفلي.. أرى الغاضب و الثائر، الحزين و المشتاق.. الأب والأخ و الزوج.. و أرى نفسي معهم، عائلتي التي اختارها لي العدو.

كلما جاءت أمي لزيارتي أخجل من نفسي.. أخجل لأني سمحت لها الولوج بين قذارة السجان و دنس المعتقل.. و أكره نفسي كلما حاولت أن تُوفدَ لي من جيوب ثوبها أملاً غير مرحب به في أيامي هذه.. لكنها لم تيأس أبداً.

في آخر زيارة.. سألتني إن كنت أشعر ببعض التفاؤل تجاه ارتباط اسمي بأسماء اللذين سيفرج عنهم في صفقة تبادل الأسرى، ضحكت باستهزاء. لا أبداً.. لم أفكر بالموضوع. لا أعلم يا أمي كيف زرع الله في قلبك ذلك الأمل اللذي جعلك تسهرين الليل داعية راجية الحرية لابنك الأسير.

حتى جاء اليوم الذي دخل فيه الجندي اللعين إلى زنزانتنا ووقف على بابها. حاملاً معه ورقاً باهتاً، و بدأ بقراءة بعض أسماء المعتقلين في زنزانتي.. وأنهى كلماته بأن تلك الأسماء سوف تحصل على إنهاء حكم المعتقل خلال أيام؛ كجزء من صفقة تبادل الأسرى، وكان اسمي من بينها..!

كنت جالسا في سريري العلوي عندما سمعت ذلك؛ وفي ثوان قفزت من على الفراش كنورس لا حدود له، فضرب رأسي المبتهج سقف الزنزانة ورجَّ زواياها الصامتة، وانطلقت مني صرخة محروم لم تره الشمس منذ سنين، صرخة فرح صداها الألم لمقهور في انتظار الحياة. ارتد صوتي من حولي سمفونية رثة مبتذلة محت معها أي أصوات أخرى في المكان.. خلال لحظات كنت قد صعدت الى السماء تهليلاً؛ حراً أخيراً.. وهبطت من بعدها إلى أسفل سافلين؛ إلى سريري المكسور. وقبل أن أستوعب الموقف أو أفكر في أبعاد فرحتي، لاحظت وجوههم.. أسرتي التي سأتركها خلفي، البعض يبتسم لي بحسرة الآه، و البعض غارق في دموع الأسى و اليأس.. خنقت ضحكتي مرة واحدة و هدأت في تابوتي، دون ألم يشكوه رأسي. لكني سمعت أجيجهم وإن لم يكن مسموعاً.

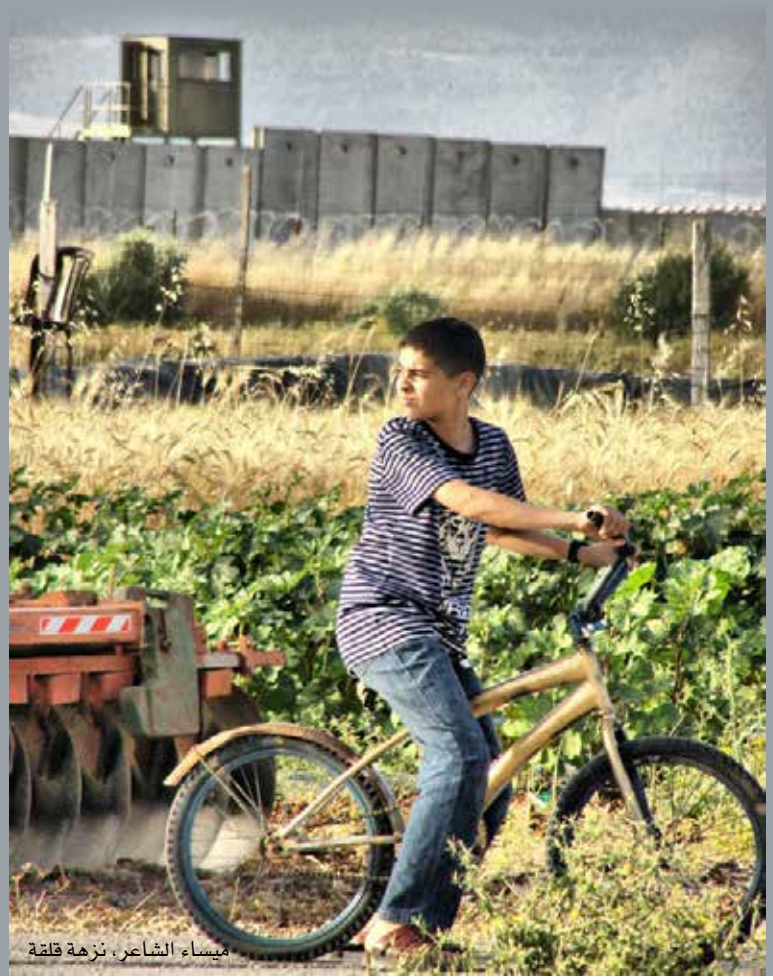

ميساء الشاعر، نزهة قلقة

بسمة خجولة تعلو وجهي

مهيرة جازي

بائـعٌ مُتجـول، صغـيرٌ في السـنّ كبـيرٌ في الخـبرة، عمـري عـشرة أعـوام، أتجـوّل في الشـوارع و الطرقـات، بتلـك الثيـاب الرخيصـة الرثّـة، كأيّ باحـث عـن لُقمـة عيـش، كأي شـخص لم يُـرزق بكنـزٍ مـن السـماء، أرى وأسـمع مـن الحديـث الروتينـيّ يوميـاً مـا يكفـي ليُشـعرني بالملـل و التعقيـد. ذات يـوم، كسـبتُ عـلى غـير العـادة مـا يزيـد قليـلاً عـن حاجتـي، و التـي كانـت قطعـة خبـز أدّخرهـا لطـوال اليـوم و قطعـة جـبن تسـدّ جوعـي، صرت أتطلّـع يمينـاً ثـمّ شـمالاً مـاذا أشـتري؟ فكـرت أن أشـتري حـذاءً غـير الـذي أرتديـه، و لكنهـا للأسـف لا تكفـي لربـع حـذاء! إذن، مـاذا عـن قطعـة قـماشٍ جديـدة! و كأننـي أمـزح حقـاً.. بالـكاد تكفـي لنصـف قطعـة قـماش! و اسـتمرت الأحـلام، و كأننـي انتظـرت هـذه اللحظـة لأتمنـى أمنيـات لا تُعـدّ و لا تُحـصى! اللبـاس، الطعـام، الألعـاب.. و مـا زالـت ذاكـرتي تخـوض في التمنّـي! و بعد انقضـاء اليـوم، مـا زلـت أحتفـظ بـذاك المبلـغ، و مـا زال التفكـير يعمـل بـلا توقـف، في صبيحـة اليـوم التـالي، بينـما أنـا في الطريـق قـرأت إعلانـا لمسرحيـة سـتعرض هـذا اليـوم؛ و تحـوي سراً غامضـاً لا يعرفـه إلا مـن سيشـاهد العـرض، حيـث كان يحمـل عنوانهـا الآتي "سِرّ كَومـة فَـوضى، ادخـل و لا تـتردّد لاكتشـاف الـسّر" و صدفـة كان المـال المطلـوب لـشراء تذكـرة هـو مـا كسـبته زيـادة عـلى عمـلي. دفعنـي فضـول مجهـول لحضورهـا، لم أر نفـسي إلا و قـد دفعـت المـال و حصلـت عـلى تذكـرة الدخـول.

بينـما أنتظـر دوري للدخـول، تهامسـت الأصـوات مـن حـولي مُتسـائلة عـن الـسّر الخفـي! مـذ زمـن لم أر مثـل هكـذا حشـد يملئهـم فضـول مجهـول.. و أخـيراً وجـدت كرسـياً في الصـف الثالـث، لم أكـن أعلـم إلى اللحظـة سـبب اندفـاع طفـل صغـير

طلال أبو حصيرة، أكثر من مجرد ضوء

مثـلي لهكـذا شيء؟! علّـه الاشـتياق إلى بـذرة أمـل تُـزرع في قلبـي.. بـدأ العـرض ولا صـوت هنالـك يـكاد يُسـمع، فالـكل متشـوّق لمعرفـة الـسر. دخلـت فتـاة صغـيرة تبـكي بـكاء حزينـاً شـجيّاً، لم يتمالـك أحـدٌ نفسـه، فاغرورقـت أعـين الحشـود لبكائهـا، اسـتمرت عـلى حالهـا مـدةً لا تقـل عـن الخمسـة عـشر دقيقـة، و في كل دقيقـة يـزداد بكاءهـا حزنـاً و ألماً. بكاءهـا ذكّـرني بنفـسي، بمشـقّتي، بحيـاتي، ذكـرني بتعبـي، قلـت لهـا في نفـسي "كلانـا أرواحنـا مكسـورة فـلا تبـكي!". مـرّ شـخص و سـألها "لمـاذا البـكاء يـا صغـيرتي" و كأنهـا المـرة الأولى التـي يناديهـا أحدهـم بصغـيرتي، فوجئـت و بكـت أكـثر و أكـثر، مسـح دمعهـا و قـال "أرجـوكي لا تبـكي!" قالـت بنـبرة الـبراءة، ألا أبـكي، و أمـي فقـدت حياتهـا، و أبي، و أخـوتي، و كل مـن أحـب، و مـاضيّ و مسـتقبلي، و وطنـي مـات قبـل مولـدي بكثـير.. و الأهـم، نحـن في زمـن القسـوة، قسـوة البـشر عـلى لحـوم أبناءهـم مـن جنسـهم القريـب قبـل الغريـب، يعاملـون بعضهـم بـلا رحمـة، بـلا شـفقة، يعاملـون بعضهـم بالمصالـح واللامبـالاة.. نحـن في زمـن مـات فيـه الكريـم. لم يتمالـك حينهـا الرجـل دموعـه، حـدّث نفسـه قائـلاً: و كيـف لطفلـة أن تقـول كل هـذا الـكلام؟! أيعقـل هـذا؟ طفلـة لم تبلـغ السادسـة بعـد و رأت كلّ تلـك القسـوة.. لتتكلـم بلسـان عجـوزٍ مـضى عليهـا الزمـن و سـجّل حضـوره.

فجـأةً، عمّـت الفـوضى أرجـاء المسرح، في الزاويـة هنـاك امـرأة عجـوز تجلـس عـلى كـرسيٍ خشـبيّ، نظراتهـا كانـت توحـي بأنهـا تتأمـل شريـط حياتهـا. و هنالـك في زوايـا أخـرى، امـرأة ثلاثينيـة العمـر مـع أطفالهـا و تحمـل أحدهـم بـين يديهـا، ملامحهـا القاسـية توحـي بأنهـا تحمـل جبـال همـوم عـلى كاهلهـا.. و هنـاك أيضـاً، مجموعـة شـباب يجلسـون عـلى مقاعـد الدراسـة، كأنّ الأمـل مُجِـيَ مـن حياتهـم قبـل مجيئهـم هـذه الحيـاة! يدرسـون و يهمهمـون لبعضهـم همهـمات متعبة، يائسـة و يُـردّدون الشـكوى باسـتمرار، كأن ألسـنتهم اعتـادت ذلـك!. و في وسـط المـسرح أيضـاً تعـدّدت الوجـوه و الشـخصيات. منهـم الفقـير الـذي يجلـس عـلى رصيـفٍ يملئـه الاكتئـاب! و منهـم الغنّـي الـذي يجلـس عـلى مكتبـه و يضـع سـيجارة في فمـه، يشـتم و يغضـب و يتمنـى المزيـد.. و هنالـك أيضـاً، مجموعـة مـن الشـباب الهاويـن كأنّ همهـم الوحيـد هـو المتعـة، يعيشـون بـلا هـدف لحياتهـم و بـلا مسـؤولية جـادة و بـلا همـوم تُحـرك أجفانهـم! و يقـف أيضـاً هنـاك، زوجـين يشـكوان الزمـان الـذي جمعهـما، وفي بقعـة مؤلمـة مـن المـسرح، كانـت هنالـك امـرأة تقـف بجـوار قـبر كُتـب عليـه "ابنـي الغـالي" كانـت تُتمتـم و تقـول: كنـت ابنـي الوحيـد.. رحلـت و أبـاك بغـدر مـن الزمـان! و بقيـت تـردّد كلماتهـا بصـوت مبحـوح، قـاسي، أليـم و يشـكو ألمـاً عظيـماً. بعـد انقضـاء مـا يُقـارب السـاعتين، خـرج عجـوز يحمـل عُـكازاً، و بـدت ملامحـه أكـثر إشراقـا مـن الباقـين، و قـال: "هـذا هـو سر كومـة الفـوضى، الشـكوى!". نعـم، فلـم أرى أحدهـم كان راضيـاً بحالـه، الـكل يشـكو و مـن ثـم يشـكو! لا شيء غـير الشـكوى! فهـذه حـال مُعظمنـا إن لم نكـن جميعنـا.. أُغلقـت السـتائر، وعلـت أصـوات الحاضريـن ترحيبـاً و إعجابـاً. خَرجـتُ و الحشـود، و هنالـك بسـمة خجولـة تعلـو وجهـي.. وقلـت لنفـسي: لـن أشـكوَ بعـد الآن، ولكـن هـل تُـراني أقـدر!

عودة إلى "الضوء الأزرق"

هند رمضان

عـدت لأقـرأ روايـة الضـوء الأزرق للـروائي الفلسـطيني حسـين البرغـوثي مـرة أخـرى، رأيتهـا مختلفـة، مـن منظـور آخـر حللتهـا، بعينـين جديدتـين رأيـت مشـاهداها، وسـمعت حواراتهـا بطريقـة اختلفـت عـن سـابقتها، فهـذه المـرة قـد قرأتهـا وأنـا عـلى مـتن الطائـرة عائـدة إلى وطنـي، بعـد أن عايشـت معـاني الغربـة، قابلـت شـخوص رحـت أقـارب بينهـم وبـين شـخصيات الروايـة، وتسـللت إلى عقـلي أفـكار، كلـمات، وأجـزاء ثقافـات لم يكـن عقـلي قـد انكشـف عليهـا مـن قبـل.

يقـول السـارد: "العقـل دولاب، وكلـما دار الـدولاب تغـيرت طريقتنـا في النظـر إلى الدنيـا والحيـاة وأنفسـنا، وتغيرنـا..". كيـف يـدور عقلـك؟ وكيـف تتغـير طريقتـك في النظـر إلى نفسـك لتعرّفهـا، وإلى مـا حولـك أيضـا. يصطحبـك بطـل الروايـة في متاهـات روحـه، ويشـاركك معـارك قلبـه وعقلـه في غربتـه، وعندهـا قـد تسـتطيع أن تمسـك طـرف خيـط للإجابـة عـن أسـئلة عديـدة، فتعـي التجربـة التـي عشـت، وتوقـظ في داخلـك مـا كان نائمـاً خامـداً، فتفكـر لتفهـم مـا كنـت تعرفـه دائمـا دون أن تفهمـه. تـدرك أن بـين الاعتقـاد والفهـم شـعرة إن انقطعـت تلبّـس الإنسـان جفافـاً في القلـب، كـما حـال بطـل الروايـة "يفكـر ويفكـر ويفكـر، ولكـن لا يشـعر بمـا يفكـر فيـه، ويحتـاج إلى غصـن صنوبـر بـين الكتـب، ويعيـش في رأسـه" وهـذا مـا دعـاه بـري صديقـه الصـوفي بأنـه نقـص في حشـوة الـروح وفي جوهرهـا فقـال "لا تعتقـد.. افهـم، عندمـا يسـتولي العقـل عـلى الـروح يجـف القلـب" والجفـاف نـوع مـن الزيـف.

جـرت حـوارات كثـيرة بـين شـخصيات الروايـة، تشـعر وكأنهـا مـن عـالم آخـر، قـد تقرأهـا لمـرات عديـدة حتـى تفهمهـا بعمـق معانيهـا، فتـارة يتحدثـون عـن تخلـف القلـب، وتـارة عـن الشـعور

بالذنب، ومحاكمة الذات، وحوارات أخرى كثيرة، وفي هذه الحوارات تجد البرزخ في قلبك، فهناك -كما في الرواية- حاجز في قلبك يفصل بين بحرين، بحر مالح فيه من الألم، الندم، المرارة والذنب الكثير، وآخر حلو فيه من الايجابية ما يملأك أملاً وفكاهة وحياة، وقد يفيض أحدهما على الآخر، فإما أن يكون قلبك في غربتك قالبا وهنا الزيف وجفاف الروح، وإما أن يكون قلبك انقلابات روح وحياة.

بعيون فلسطينية قرأت الرواية أيضا، عندما يتحدث الراوي عن طفولته، فتعيش مع هويات متناقضة عاشها في صغره، كانت وليدة المجتمع الذي عاش فيه وترعرع، حديثه عن سلطة الذاكرة، وكيف يكون العيش صعبا مع ذاكرة عميقة كذاكرة الفلسطيني، وهنا يروي عن ثقافة الموت عند الفلسطينيين، ذكريات السجين التي تشكل هويته، وكيف تتأثر الأخيرة بهوية المحقق، ذاكرة اللاجىء وعلاقته بوكالة الغوث الدولية وشعوره كإنسان بأنه بلا كرامة، المقاربة التي عقدها لتفسير فصامه الشخصي، عندما عبر عن جسر الأردن الذي يفصل بين الضفتين على أنه لحظة تبديل الشخصيات، وكيف رأى ما بعد لحظة العبور حين تحل أحد شخصيات الفصامي مكان الأخرى بأنها تعبير عن "اللامكان" أي عن فلسطين والمدينة التي يسكنها رام الله. كل هذه تستيقظ في الغربة، وتوقظ في داخل الإنسان تناقضاته، وإدراك التناقض قد يساعد أحيانا على الغوص في أغوار الهوية، في التاريخ وفي الذاكرة، لتعرف ذاتك وتفهمها.

بكى بطل الرواية، وفي لحظة البكاء، فاض البحر الذي كان يخافه صغيراً، فلامس البحر طفل الجبل، وعندها فقط تغلب على خوفه من الجنون، والفصام، عندها تعرّف على كل ذاته، حيث قال "يحل لمن رأى عمقا كهذا أن يعيد صياغة نفسه".

كثيرة هي المشاعر والأفكار، والحقائق التي تدركها عن نفسك، أو تعي أنك لا بد أن تدركها بعد أن تقرأ الرواية، ولكن كما أنهى بطل الرواية كتابه بالقول "كان النبي في غاره يتأمل" باعثا رسالة بأنك إن أردت أن تدرك حقيقة الأشياء، حقيقة نفسك، وما يدور حولك، عليك أن تتأمل، كما فعل بري صديق حسين الصوفي من قبله.

صوفي لورانت. حلي الأرض

الجهل.. السلطة الأكبر

سالم حوراني

الدول التي سادت في المجتمعات العربية الإسلامية سواء كانت قديما أم حديثا من الدولة الأموية وحتى هذا الوقت كانت ومازالت تدار من قبل طبقات تعتبر نفسها "مالكة" وجدت من مصلحتها أن تُحكم سيطرتها على الشعب باسم الدين الذي شُكّلَ وصُنع من قِبَلهم، والذي أصبحنا نحن ضحاياه قبل أن نصبح ضحايا أنظمة عفنة وحكام مهترئين أوصلونا إلى هذا المشهد المبتَذل والمعتم، فكان الدين الناتج من قبل الطبقة الحاكمة والمالكة بمثابة مشَرع قوي لنظامْ الجهل والاستبداد وشَرعه، الاستبداد بتفرعاته الكثيرة الاستبداد الفكري، الاستبداد الديني، الثقافي، الاقتصادي..الخ. ومن خلال عوامل كثيرة كان من أبرزها هذا "الدين المرتبط بالسلطة" رضخنا لقوانين وأعراف وتقاليد اجتماعية طُبعتنا بطابع رجعي متخلف بأقنعة متأدينة، والتحمنا بكيان الجهل والتخلف وضيق الفكر وافتقرنا للمساحة الفكرية اللازمة لبناء الأمم والشعوب المتقدمة.

أحمد البظ، تلمس الحب

كشاب بسيط يحاول أن يتأمل ويفكر، أرى ضرورة إحداث ثورة على القائم والموروث في الفكر الديني، ثورة على الدين المزيف، ثورة على شرعية وشرع نظام التزييف والاستبداد والجهل القائم، وذلك للخروج من مربعْ الضيق الذي يمارس ويتم بإسم "الشرع والدين" حارس الجهل والأنظمة ومنصبها الأبدي، ثورة على الخطاب الدعوي والفكر القائم، ثورة وتجديد على الفكر نفسه؛ فأسوء ما في الأمر أن يكون نمط التفكير والتعاطي السائد مؤيد أو لامبالى من قبل المجتمع، وذلك بدعم قوي جدا من الجهل السلطة الأكبر، فمن المحزن أن ترى خرائب المدن ومن المحزن أكثر أن ترى خرائب الآدميين. ثورة على مجتمع التقاليد والغيبيات "والتواكل" والاستسلام، ثورة على حياة الحشرة التي رضت عن نفسها.. الحشرة ذات الهموم الشخصية لا البشرية الإنسانية الفكرية، ثورة على جميع التفاسير والأفكار الموروثة وثورة على جميع الدراسات الاجتماعية والدينية الكلاسيكية والتقليدية التي زادت الطينة بلة، ثورة ضمن رؤية جديدة وقراءة جديدة منعشة لدين مرهق لكثرة الأمراض والبكتيريا التي أصابته، ثورة ضد كل البنى التقليدية التي زُجِجْنا بها بإسم الدين و بإسم العرف المنبثق منه، ثورة على الإرهاب الديني والفكري والثقافي والاجتماعي الذي كان و مازال يُمارَسْ علينا، ثورة ضمن قراءة جديدة للفهم والاستيعاب والتقدم، ثورة حقيقية شكلا ومضمونا لضرورة التحرر من السياج الفكري المنغلق ، السياج الذي لَجمَ العقول و كَبلَ الخطوات وخلقَ منا أمة بائسة تتغذى على فضلاتها.

لى عبيد، في كل شهر

حلوى جدتي في يافا

دعد الصريفي

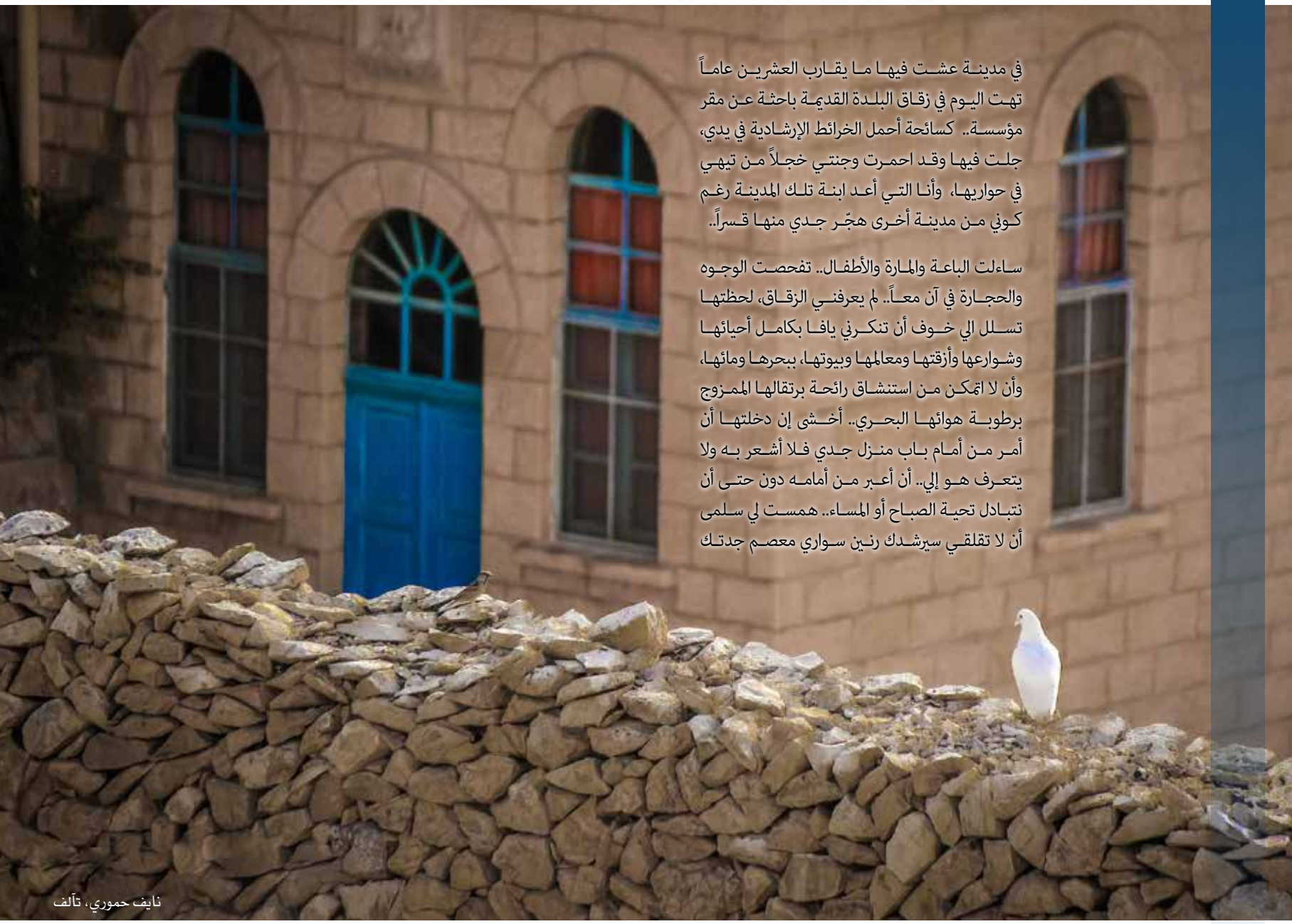

في مدينة عشت فيها ما يقارب العشرين عاماً تهت اليوم في زقاق البلدة القديمة باحثة عن مقر مؤسسة.. كسائحة أحمل الخرائط الإرشادية في يدي، جلت فيها وقد احمرت وجنتي خجلاً من تيهي في حواريها، وأنا التي أعد ابنة تلك المدينة رغم كوني من مدينة أخرى هجّر جدي منها قسراً..

ساءلت الباعة والمارة والأطفال.. تفحصت الوجوه والحجارة في آن معاً.. لم يعرفني الزقاق، لحظتها تسلل الي خوف أن تنكرني يافا بكامل أحيائها وشوارعها وأزقتها ومعالمها وبيوتها، ببحرها ومائها، وأن لا اتمكن من استنشاق رائحة برتقالها الممزوج برطوبة هوائها البحري.. أخشى إن دخلتها أن أمر من أمام باب منزل جدي فلا أشعر به ولا يتعرف هو إلي.. أن أعبر من أمامه دون حتى أن نتبادل تحية الصباح أو المساء.. همست لي سلمى أن لا تقلقي سيرشدك رنين سواري معصم جدتك

نايف حموري، تآلف

اللذين حدثتني عنهما نحو بوابة البيت، ستجدينها هناك جالسة على عتبة المنزل وهي تبتسم وتحادث جميع المارة، وربما تمد يدها إلى "عبّها" حين تراك آتية نحوها لتخرج صرة النقود، ولتنفرج شفتيها المجعدتين عن ابتسامة مسترقة من همومه،ا فتمنحك شيئاً من فرح الطفولة المسلوبة منك هناك.. فتقبلي نحوها وتقبضي على ما منحتك إياه بقوة، وتجرين متناسية شكر جدتك وطبع قبلة على خدها، ورغم ذلك لا يتوقف ضحكها الذي يتدحرج خلفك على طول الطريق إلى الدكان لتبتاعي حلوى الطفولة من هناك وتعودي إليها منكرة بخباثة فضلها ذاك عليك .. أحيانا أشعر أن لا شيء أكثر تعقيدا من تحديد جواب لسؤال يطرح علي عند أول تعارف مع احدهم "من وين انتي".. فيأتي جوابي مرتبكاً و مليئاً بأسماء مدن بعضها لا يعني لي سوى مكان لأقامة مؤقتة، كوني لا زلت أؤمن بحقي المحفوظ في بيتنا هناك، وبما أملك من حكايا جدي عنه.. ويؤلمني كوني لا املك عدداً من الحكايا والذكريات عن تلك المدينة، يعادل ما أملكه لتلك المدن الأخرى.

"ساكنة في نابلس، بشتغل في رام الله، ولدت في الكويت وبعد الحرب عشت بعمان وبعدها جيت هون، واحنا أصلنا من يافا، من قرية اسمها المسعودية وامي من اللد".. ويتبع ذلك تعارف طويل تفصيلي لبقية شؤون الحياة.. هذا الصباح كانت سلمى هي من أصرَّت علي بأن اتوجه بعد اجتماعي في تلك المؤسسة نحو حاجز قلنديا العسكري.. هناك حيث تنتصب اللوحات الاعلانية التي توحي برفاهية عيش واهمة، وتعلو صفاً طويلاً من المارة والسيارات المحتشدين في أزمة خانقة.. كل منهم يسعى للوصول إلى مصدر رزق، ويخشى التأخر بسبب عجلة سير عقارب الساعة، التي لا تراعي أزمات الأوضاع السياسية وأزمات الحواجز العسكرية.. هنا في فلسطين لا الساعات ترحم ولا أرباب العمل يرحمون.. عليك أن تجري وتحترق من الداخل وتحرق معك أحيانا اعقاب السجائر في الانتظار، والتي على ما يبدو هي الرفيق الأوفى للسائقين على وجه الخصوص في تلك الظروف!

لعلهم بذلك يحرقون شيئاً من طول الطريق الزمني إلى مبتغاهم.. كانت طوال الطريق إلى هناك هادئة مستكينة، وقد تعجبت.. وما أن وصلنا إلى الحاجز حتى علت جبهتها مسحة من ذهول وألم عندما أبصرت صفوف العمال المنتظرين لإذن العبور.. ويبدو أن الأسئلة قد تزاحمت في ذهنها لتطرحها علي:

"ليش كل هدول الناس متجمعين هون ومش عم يمرقوا؟"

"لأنه في جدار وحاجز عسكري وممنوع يمرقوا بدون إذن"

"لوين بدهم يروحوا؟"

"كل واحد منهم عشغله.. يمكن في منهم بالقدس وشي بحيفا ويمكن يافا.. آخ نيالهم بيشوفوا يافا وبيشموا هواها"

"ليش احنا ما بنقدر نعمل متلهم؟"

"لأنه ما معنا تصاريح ولإنه ممنوع يطلع النا تصريح"

"ليش ممنوع؟"

"لأنه .. " وصمت ودمعت وكادت تلك العبرات أن تفتضح ألمي باستشهاد والدها، لكني أمام فضولها استجمعت شيئاً من الشجاعة : "عارفة شغلة يا سلمى؟ هاد الجدار بيلف وبيدور وبياخد أرضنا منا، وبياخد حتى متعة شوفتها ولو من بعيد.. آخ لو حد يجيب مهدّة بشي ليلة ما فيها ضو قمر ويهده"

"سهلة.. أنا بهده يما"

"كيف؟!"

"بسيطة.. هلا بتشوفي"

وقفزت من حجري وتبعها جيش من الطفولة الذي كان متخفياً في السيارات المتوقفة.. قفزن من على ظهر سيارة إلى أخرى وتقافزت معهن ظفائر شعرهن المزينة بالشرائط الحريرية الملونة.. قفز قلبي معهن خشية عليهن.. ناديتها فالتفتت الي ونظرت نحوي مباشرة، ابتسمت واشارت بسبابتها إلى الأعلى وقالت: "سأذهب لأجلب لك شيئاً من حلوى جدتك التي خبأتها لك أسفل وسادتها".. وقفزت وتبعتها الفتيات الأخريات وقد علا صوتهن يغنين، وقد أمسكت احداهن بيد الأخرى :"دور يا سور العسكر.. نطيت فوقه وانكسر.. واللي شافه ما همه.. داس عليه وهدمه.. شفت يافا ونادتني.. هاد البيت ل ستي.. ودور يا سور العسكر.. اجا يومه واندحر"

تتابع تقافزهن حتى اختفين وهن يرددن كلمات تلك الأغنية وقد تصدع الجدار تحت خطواتهن.. خرج الجميع من الحافلات والسيارات وسط ذهول وهول ما يحدث.. جن جنون الجنود على الحاجز العسكري واطلقوا بضع عيارات نارية في الهواء.. لأستفيق إثرها من غفوة سهت بها عيناي للحظات عن ذل الدقائق التي تستجدي خلالها الوقت والطريق والحافلات والجنود وحتى الزوامير لكي تتمكن من اجتياز جدار يحجب عنك بيتك القابع هناك.. حيث تنتمي حقاً وربما لا زال هو الآخر ينتظرك.

أنتظر تلك العناية..

مي عبيات

كنت في الخامسة من عمري حين جلست على حافة الطريق أنتظر أمي لتعود وتأخذني إلى مكان بعيدٍ عن تلك الحافة المشؤومة التي طالما شكلت لي مثلث رعبٍ أخشى اجتيازه، كان يوماً مشمساً جميلاً خرجت فيه مع والدتي، ولكن حدثٌ أن نسيت نفسي في إحدى المحلات التجارية حين كنت أشاهد التلفاز؛ فلم تنتبه لي أمي حين خرجَت وبقيت هناك وحدي.

لاحظت أن المكان فارغاً ممن أعرف، خرجت أبحث عن رائحة والدتي لعلها شدتني إلى الطريق الصحيح التي ذهبت منها، وحين عجزت عن ايجادها جلست والدموع تغرق عيناي ويكاد قلبي يتوقف من شدة الخوف، حاولت جاهدة أن أستعيد ذكرياتي التي كانت توجهني بها أمي في حال واجهت موقفاً كهذا، ولكن شعرت بأني فقدت كل التوجيهات إذ فقدت ذاكرتي بالكامل من شدة الرعب الذي دبّ فيّ ومما كنت أرى في برامج التلفاز عن أشخاص سيئين قاسين على الأطفال، ويباليت لو كان ما رأيت يقتصر على ذلك. كان في زاوية الطريق طفل صغير يشبهني يحمل بعض الحاجيات لبيعها للمارة على أمل أن يشفقوا على طفولته، ثيابه الممزقة، دموع عيناه، نظراته المسكينة، صوته الحنون الصغير وهو يقول لهم باكياً ساعدوني وأنقذوني من معاناتي، ربما لم يفهم أحدٌ غيري تلك النظرات، لأن عيناي امتلكت نفسها وشفتاي نطقت بتلك الكلمات باحثةً عن أمي.

وعلى حافة الطريق جلس عجوز كبير فقير ينتظر رغيف خبزٍ يؤمِن به قوته، ولا عجب أنه امتلك نفس النظرات التي امتلكناها أنا وذلك الطفل! كنا ننتظر النجدة ولكن كل منّا حسب حاجته.... مر الوقت بثقل، لم تمضِ سوى ساعتين وأنا كعصفور يتيم مكسور الجناح لا يعرف طريق الرجوع، وفجأة بدأت أرى ظلاً من بعيد يقترب، يشبه ما كنت أسمع عنه في الروايات، شرطي المرور، لا أعلم كيف تمالكت قواي ونسيت خوفي ومسحت الدموع من عيناي واتجهت نحوه طالباً نجدته لكي يجد عائلتي، فقد أثقل الاشتياق كاهلي. كان ذلك الشرطي صديقاً لوالدي، سألني عن اسمي فأخبرته اسمي بالكامل، وفي داخلي أمنيات بأن لا يكون ذلك الشرير المتنكر بثياب شرطي، وحين سمعت صوت والدي على الهاتف ذرفت عيناي دموعاً من شدة الفرح، أدركت كيف أنقذني اسم والدي وأعادني إلى عائلتي، ومنذ ذلك الحين وأنا أفكر بالعناية الإلهية التي أوصلتني إلى بيتي.. لكنني مازلت أنتظر تلك العناية لتنقذ الطفل والعجوز وغيرهما الكثير.

مؤيد ريحان، سنابل الروح

اسماعيل شموط،
1960

اسماعيل شموط،
1960

عزيزتي فانيا

يسري الغول

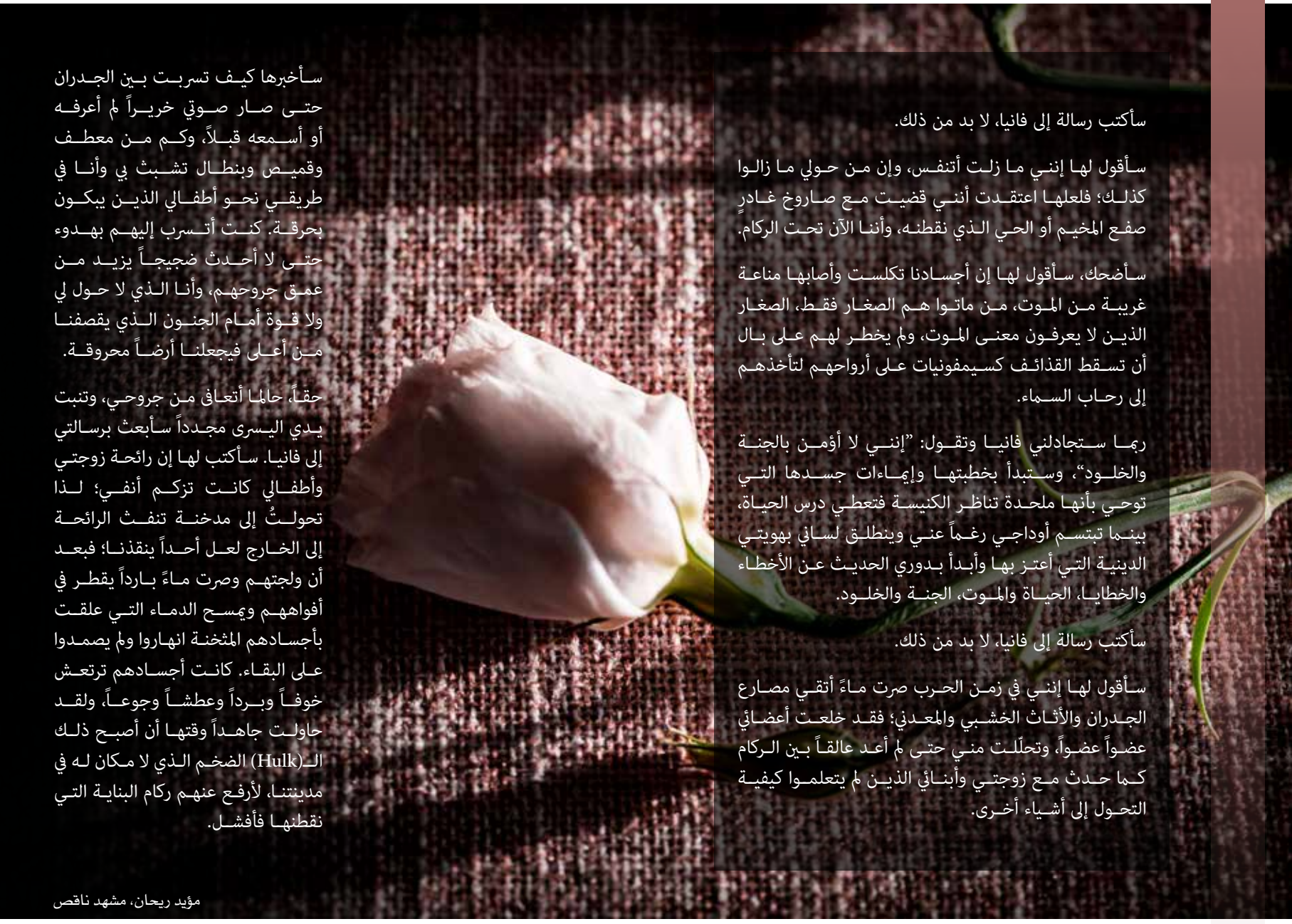

سأكتب رسالة إلى فانيا، لا بد من ذلك.

سأقول لها إنني ما زلت أتنفس، وإن من حولي ما زالوا كذلك؛ فلعلها اعتقدت أنني قضيت مع صاروخ غادرٍ صفع المخيم أو الحي الذي نقطنه، وأننا الآن تحت الركام.

سأضحك، سأقول لها إن أجسادنا تكلست وأصابها مناعة غريبة من الموت، من ماتوا هم الصغار فقط، الصغار الذين لا يعرفون معنى الموت، ولم يخطر لهم على بال أن تسقط القذائف كسيمفونيات على أرواحهم لتأخذهم إلى رحاب السماء.

ربما ستجادلني فانيا وتقول: "إنني لا أؤمن بالجنة والخلود"، وستبدأ بخطبتها وإيماءات جسدها التي توحي بأنها ملحدة تناظر الكنيسة فتعطي درس الحياة، بينما تبتسم أوداجي رغماً عني وينطلق لساني بهويتي الدينية التي أعتز بها وأبدأ بدوري الحديث عن الأخطاء والخطايا، الحياة والموت، الجنة والخلود.

سأكتب رسالة إلى فانيا، لا بد من ذلك.

سأقول لها إنني في زمن الحرب صرت ماءً أتقي مصارع الجدران والأثاث الخشبي والمعدني؛ فقد خلعت أعضائي عضواً عضواً، وتحلّلت مني حتى لم أعد عالقاً بين الركام كما حدث مع زوجتي وأبنائي الذين لم يتعلموا كيفية التحول إلى أشياء أخرى.

سأخبرها كيف تسربت بين الجدران حتى صار صوتي خريراً لم أعرفه أو أسمعه قبلاً، وكم من معطف وقميص وبنطال تشبث بي وأنا في طريقي نحو أطفالي الذين يبكون بحرقة. كنت أتسرب إليهم بهدوء حتى لا أحدث ضجيجاً يزيد من عمق جروحهم، وأنا الذي لا حول لي ولا قوة أمام الجنون الذي يقصفنا من أعلى فيجعلنا أرضاً محروقة.

حقاً، حالما أتعافى من جروحي، وتنبت يدي اليسرى مجدداً سأبعث برسالتي إلى فانيا. سأكتب لها إن رائحة زوجتي وأطفالي كانت تزكم أنفي؛ لذا تحولتُ إلى مدخنة تنفث الرائحة إلى الخارج لعل أحداً ينقذنا؛ فبعد أن ولجتهم وصرت ماءً بارداً يقطر في أفواههم ويمسح الدماء التي علقت بأجسادهم المثخنة انهاروا ولم يصمدوا على البقاء. كانت أجسادهم ترتعش خوفاً وبرداً وعطشاً وجوعاً، ولقد حاولت جاهداً وقتها أن أصبح ذلك الـ(Hulk) الضخم الذي لا مكان له في مدينتنا، لأرفع عنهم ركام البناية التي نقطنها فأفشل.

مؤيد ريحان، مشهد ناقص

عندما تقرأ فانيا رسالتي، ستنهار وتسألني عن السبب؛ فأجيبها بهدوء إن موت طفلي الصغير الذي ظللته بغمامتي غيّر مسام جسدي دون أن يجعلني سامقاً عظيماً كنخلة من الفولاذ، فقد غادرنا ذلك المشاكس بهدوء، كان يشخر ثم ينطفئ فتنطفئ كل حواسي بعده.

سأكتب: لقد عدت مجدداً لأصنع من نفسي ذلك الضخم، أصرخ حتى تنفجر الأرض وتتشقق السماء ويظهر خيط رفيع يصل السقف المثقوب بعرش لا أتبينه، أفتح لهم باباً مواربا كانت جدتي قد أقلعت عن فتحه بعد عودتها إلى السماء؛ فتبتسم طفلتي حاملة في يدها أخاها الصغير، تشير مودعةً بينما أحدق فيهم متجمداً لا طاقة لي بفعل شيء... هل أبكي أم أصرخ أم أموت؟

سأقول لفانيا: عدت لولدي البِكر وزوجتي. تسربت إليهم بحذر وسقيتهم من يدي شربة ماء ثم حملتهم، خرجت مهرولاً لأكتشف أنهم بلا سيقان/ أننا بلا سيقان.

أعلم أنها ستقول لي: هل تذكر الرجل الذي كان يقوم بأعمال بهلوانية في شوارع مانهتن بنيويورك دون أن تظهر سيقانه أمام العامة؟ أم لعلك لا تذكر؟ ستقول أيضاً إنها في حينه أرادت مداعبة ذلك المسكين فقرصته من إحدى ردفيه ليصرخ: (آآو) كما في أفلام هوليود، تضحك فيضحك من يتحلقون حوله، يلقون بدولاراتهم بينما يبكي العجوز لإهانته. تَخرج قدمه الخشبية أمامنا فتدمي قلوبنا، تعتذر فانيا لذلك المسكين، تطبع قبلة على خده وتلقي بعشرة دولارات داخل قبعته ثم تمضي.

ستقول صديقتي: لم لا تصنع لزوجتك قدماً خشبية؟ وهي لا تعلم أنَّ غزة لا أشجار فيها لنصنع الآلاف من السيقان التي بُترت، وأن غزة ليست بلداً أو حتى مدينة أو قرية، إنما قطعة من جحيم لا لون فيها غير الأسود.

سأبعث رسالتي حالما أتعافى وأصير بجناحين كبيرين، لا مشكلة إن كانا من الحديد أو الألمونيوم أو الفولاذ أو حتى من الريش، سأعانق زوجتي، سأحتضنها ونسافر معاً، نطير عالياً، نصل ما بعد الحدود الأخيرة، نحلق رغم أقدامنا الخشبية ونسقط كما (Iron man) بطريقة سينمائية مخيفة وسأجعل المشاة يتوقفون عن ازدراد الطعام وشرب العصائر المثلجة، سأجعلهم يهيمون في عالمنا، ويحلمون بأن يكونوا مثلنا بأجنحة.

سيصفقون يا فانيا، سأكتب لك عن تصفيقهم الحار مثل نهاية جميلة لفيلم سينمائي، سيخرج أحدهم من بين الجموع ليلتقط لنا صورة تتصدر صفحات الجرائد والمجلات، وربما يخرج آخر بمانشيت كبير ليقول إننا الـ(Jumper).

آه يا فانيا، لو كنا كأبطال ذلك الفيلم نستطيع أن نسافر كيفما نريد، لا نتوقف عند حدود، لا نختم جوازات سفر، ولا توقفنا سلطات أي بلاد أو تأمر بترحيلنا؛ لعبرنا العالم ولم نتوقف عند محطة بعينها.

آه لو كان لنا مطار يا فانيا، لو كان لنا ميناء، لو كانت لدينا نصف حياة، لاخترت العيش في إسبانيا والتقيتك عند مدخل الحمراء، ثم اقترنت بك وأنجبنا صغاراً يشبهون ملائكتي الراحلين.

عزيزتي فانيا،،

سأبعث برسالتي إليك في أي وقت، لأن الزمن في غزة خارج حسابات المجرة.

سأبكي بحرقة وأصرخ: إنني قررت أن أظل في هذا العراء مسجوناً حتى تأذن لي جدتي بصعود السماء، نعم سأقول لك ذلك، فصدقيني.

مهارة فن الخطابة والإلقاء

عهد الجردات

فـن الخطابـة و الإلقـاء مـن المهـارات البشريـة الفريدة التي تسـاهم في تميـز الفـرد عـلى المسـتوى الفـردي والجماعـي. فهـي مـن أهـم المهـارات التـي تسـاعد عـلى النجـاح في إقنـاع جمهـور المسـتمعين بصوابيـة رأي أو موقف .

معنـى الخطبـة هـو الخطبـة، أي أنـه أصبـح متخاطبًـا، وأمـا الخطـاب فهـو صيغـة مبالـغ فيهـا، ويـدل عـلى كـثرة الخطـب والخطيـب هـو الـذي يخطـب أو يخاطـب في مجلـس أو المسـجد، والخطـب ينعكس في القـدرة عـلى التواصـل و الـكلام أو الحديـث. والخطـب أيضًـا تـدل عـلى الأشـياء العظيمـة والمشرفـة التـي يقـال فيهـا.

أمـا اصطلاحـا فهـي فـن مشـافهة الجمهـور، وإقناعـه واسـتمالته فـلا بـد مـن مشـافهة، وإلا كانـت كتابـة أو شـعرًا مدونًـا، ولا بـد مـن جمهـور يسـتمع، ولا بـد مـن الإقنـاع، وذلـك بـأن يوضـح الخطيـب رأيـه للسـامعين، ويؤيـده بالبراهـين والأدلـة.

مـن هنـا فـإن مـن أهـم القواعـد التي تسـتند عليهـا هـذه المهـارة، قدرة الشـخص عـلى التحكـم والسـيطرة عـلى النفـس، التغلـب عـلى الخـوف الداخـلي و الخارجـي، بالاضافـة الى مهـارة المتحـدث بالتحـدث بطلاقـة و القـدرة عـلى اسـتخدام لغـة سـليمة و سلسـة مفهومـة، يتوقـف النجاح فيهـا عـلى مهـارة المتحـدث في عـرض أفـكاره، و القـدرة على خلـق الرابط مـع الجمهـور مـن خـلال اسـتراتيجية جـذب المسـتمع أو الجمهـور والتواصـل معـه. كل هـذه المهـارات الفرديـة تعتمـد عـلى أساسـيات مهمـة منهـا مـدى جاذبيـة الموضـوع المعـروض و أهميته بالنسـبة للفئة المسـتهدفة مـن الجمهـور. ومـن جانـب اخـر اساسـية إلمـام المتحـدث بموضـوع العـرض و قـدرة المتحـدث عـلى الاجابـة الواضحـة والمبـاشرة ميـع الاسـئلة المطروحـة مـن قبـل الجمهـور.

نور طايع، أحجارنا

محمد حرب، نعمة الشمس

اساسيات فن الخطابة والإلقاء:

أولا: التحضير و التمرين قبل النشاط

ثانيا: لغة الجسد والتواصل بالنظر المباشر مع الجمهور و استخدام تعبيرات لخلق الترابط مع الجمهور

ثالثا: تجنب أسلوب القراءة أو القراءة المباشرة

رابعا: نبرة الصوت و درجة الصوت المستخدمة في العرض لجذب الانتباه

خامسا: العمل على ترتيب موضوع العرض والانتباه على مدى جاذبيته و أهميته للفئة المشاركة

سادسا: الاستناد على مادة علمية وأدلة واقعية و إحصائيات لدعم المادة المطروحة

سابعا: الاستناد على الآليات المرئية من خلال الصور والفيديوهات المساندة

ثامنا: اللباس و المظهر الخارجي الرسمي البسيط و الذي يعكس مدى احترام المتحدث للمستمعين ومدى اهتمام المتحدث بالمستمعين و النشاط نفسه

المجلات العربية بين الموت الورقي والولادة الإلكترونية

فراس حج محمد

زيد حداد، أوراق تسقط وأخرى تولد

تطالع القراء العرب بين الفينة والأخرى إعلانات عن توقف صدور مجلات عربية، وأخرى ترحل بصمت دون ضجيج. فقط تموت بالسكتة القلبية ولا يكاد يشعر بها أحد، فلا تجد لها بواكيَ هنا أو هناك. مات كثير من المجلات قديما، ومن يريد معرفة ذلك فليزر مثلا موقع أرشيف المجلات العربية الإلكتروني. فلسطينيا على سبيل المثال ماتت كل المجلات العربية الأدبية الوازنة، الكرمل، والكرمل الجديد، والشعراء، ومشارف (إميل حبيبي)، ومشارف مقدسية، وغيرها الكثير، ولم يعد في فلسطين مجلة عربية ثقافية ورقية ينتظرها المثقفون كل شهر سوى مجلة "فلسطين الشباب"، صغيرة الحجم، محدودة الانتشار، على أهمية ما تقدمه من فعل ثقافي إلا أنها تراجعت فلم تعد متوفرة في المكتبات والفنادق لتوزع مجاناً. تهتم هذه المجلة بالراهن اليومي، وتضيء عليه بأصوات كتاب جدد، لهم مزاجهم الكتابي الخاص، سواء على صعيد الأفكار والموضوعات وأسلوبهم الكتابي وطريقة التناول والعرض، ومع هذه المجلة قرينتها التي تصدر باللغة الإنجليزية "This Week In Palestine".

وفي الداخل الفلسطيني المحتل عام 1948 هناك مجلتان شهريتان عربيتان ثقافيتان الأولى مجلة "شذى الكرمل" التابعة لاتحاد كتاب الكرمل 48، ومحررها المسؤول الكاتب فتحي فوراني، وتكاد تكون مغلقة على أعضاء الاتحاد نشرا وتوزيعا، إذ لا توجد حسب علمي في نقاط بيع محددة، ومثلها مجلة "الإصلاح" الذي يحررها الكاتب مفيد صيداوي إلا أنها تسمح بنشر بعض المواد لغير كتاب الداخل الفلسطيني، بل تهتم كثيرا بالقضايا الأدبية العامة، لكنها كشذى الكرمل محدودة الانتشار، ولا توجد في نقاط بيع محددة، ولا تستطيع الحصول على نسخ من المجلتين إلا بالتواصل المباشر مع المحرر أو أحد أعضاء المجلة، لكن ما يفرح القلب أن مجلة "الإصلاح" مستمرة في الصدور منذ (52) عاماً، وأظنها أقدم مجلة عربية في مناطق الاحتلال الأولى لفلسطين عام 1948.

هذا الوضع الفلسطيني- موت المجلات الأدبية- له ما يماثله عربيا، فقد أعلن مؤخرا عن توقف مجلة الدوحة الثقافية الشهرية، هذه المجلة التي تحولت إلى الصدور إلكترونيا بصيغة ملف (PDF) منذ جائحة كورونا، بعد أن كانت

تصدر ورقيا، كما توقفت قبلها بسنوات مجلة دبي الثقافية، هذه المجلة التي كان لها الأثر الكبير في تعرفي على كوكبة من الكتاب العرب ممن كان يصدر لهم كتباً، توزع مجانية مع المجلة في كل عدد، فكتبت في حينه (2016/4/6) ناعيا هذه المجلة بهذا المنشور: "للأسف لقد توقفت مجلة "دبي الثقافية" عن الصدور بعد مسيرة دامت (12) عاما، أمدتني وأمدت كثيرا من القراء والمثقفين العرب بمادة معرفية متنوعة وزاخرة، وشخصيا أمدت دبي الثقافية مكتبتي الخاصة بالعديد من الكتب التي كانت توزع مجانا مع المجلة، وعرفتني إلى روائيين كبار كواسيني الأعرج الذي قرأت له أول رواية من خلال مجلة دبي الثقافية "أصابع لوليتا" ثم رواية "مملكة الفراشة" هذه الرواية المذهلة فعلا، وكما تعرفت إلى الروائي الإماراتي "عادل خزام" وروايته "الظل الأبيض"، والروائي السوري نبيل سليمان وخاصة روايته "مدائن الأرجوان"، عدا الكتب النقدية والشعرية، وكان آخر ما قرأته من محصول دار الصدى ناشر المجلة مع العدد الأخير من المجلة كتاب "رؤيا حكيم محزون: قراءات في شعر صلاح عبد الصبور" للناقد المصري الدكتور جابر عصفور. فلمن ستتركين الساحة يا "دبي الثقافية"، ففي الخطوة العشواء يفتقد الضوءُ؟".

إن إنهاء أي مجلة من المجلات لمسيرتها يثير في نفسي الكثير من مشاعر الإحباط، ليس "دبي الثقافية" وحدها، بل كل مجلة تنتهي مسيرتها تكون قد أطفأت العديد من المصابيح أمام القراء، فتزداد العتمة من حولنا، نحن الذين نسبح في الظلام منذ أمد بعيد.

وثمة مجلات أخرى رحلت بصمت أو أصابها الشلل لبعض الوقت كمجلة الجديد اللندنية المصابة بالسكتة منذ بضعة شهور، دون أن تجد من يعلن عن وفاتها، أو لعلها تؤجل ولادتها الشهرية لتكون فصلية، فمنذ عدد شهر فبراير المزدوج (97/96) لم تصدر. الجديد توقفت عن الصدور ورقيا منذ كورونا، ولا أظن أنها استأنفت صدورها الورقي بعد العودة سالمين من محنة الوباء العالمي.

ومثل الجديد مجلة الآداب التي ماتت ورقيا منذ سنوات، لتصدر إلكترونيا، وأظنها توقفت كليا عن الصدور، ولم يبق منها غير دار النشر. أما مجلة ميريت الثقافية فقد كانت إلكترونية في أصل نشأتها، وتصدر ورقيا بنسخ محدودة، توقفت على ما يبدو عن هذا الصدور الورقي واستمرت بالصدور الإلكتروني، على الرغم من أن رئيس تحريرها الشاعر سمير درويش أعلن ذات مرة عن رغبته في توقف إصدار المجلة، لكنه على ما يبدو تراجع، واستمر بهمة وجدية واضحتين بنشر المجلة بأعداد مكتنزة بالمعرفة وبذات الزخم والاهتمام المعهود، محافظا على مستواها الممتاز من حيث الجودة الفكرية، والتنوع، والتصميم.

ثمة مجلات غير الجديد والآداب، وكذلك صحف تحولت إلى الصدور الإلكتروني، فمن الصحف مثلا صحيفة القلم الجديد الكردية الصادرة بالعربية، والعراقية الأسترالية التي تغيب أحيانا لتعود وتعلن للقراء عن وجودها، وصحيفة الشارع المغاربي، أما صحيفة المدائن بوست فتوقفت عن الصدور بطبعتها الإلكترونية بصيغة (PDF) منذ الثامن من آذار لعام 2023 كما أعلن عن ذلك رئيس تحريرها الكاتب والأكاديمي السوداني الدكتور محمد بدوي مصطفى.

ثمة أسباب متعددة لهذا الموت أو لهذا التحول، وكنت قد ناقشته سابقا في غير كتابة، فلا داعيَ لأن أعيده مرّة أخرى، مكتفيا أيضا ببعض الأسباب المرتبطة ببعض المجلات التي سيأتي الحديث عنها فيما يأتي.

هذا الواقع حفز كثيراً من المثقفين للتفكير بإصدار مجلات أدبية ثقافية شهرية إلكترونية، ومن هذه المجلات مجلة الغرفة 19، تشرف عليها وتحررها الكاتبة اللبنانية إخلاص فرنسيس، ومجلة نقد 21، ويشرف عليها ويحررها الكاتب محمود الغيطاني، مع العلم أن المجلة حسب ما هو مثبت على الغلاف الخارجي "تصدر مؤقتا بصيغة PDF". بمعنى أن هناك تفكيرا جديا بإصدارها ورقياً. وحديثا صدرت مجلة "دفاتر الشعر"، بصنعة الشاعر والمترجم تحسين الخطيب. ولا شكّ في أن هناك عشرات المجلات التي أصدرها ويصدرها أصحابها إلكترونياً.

ثمة مجلة أخرى إلكترونية هي مجلة الكلمة التي يرأس تحريرها الكاتب الدكتور صبري حافظ، هذه المجلة لا تصدر بملف إلكتروني "PDF" كما تصدر المجلات الأخرى السالفة الذكر، لقد كانت هذه المجلة منتظمة في صدورها الإلكتروني شهريا، وأخذت تتراجع في الصدور رويدا رويدا، لتصدر كل شهرين مرة، وفي عددها الأخير صدرت بعد ثلاثة أشهر من صدور العدد السابق. كأن المجلة تريد أن تسحب نفسها بالتدريج، على الرغم من أن موضوعاتها مهمة جدا، ولها حضور بحثي لافت بين الباحثين.

لم تكن "الكلمة" هي الوحيدة في هذا التحول الذي أعلن عن صيغته الأولى (كل شهرين) رئيس التحرير، نظرا لعدة أسباب مرتبطة بالمحرر نفسه، وشعوره بالتعب بعد أن علت سنه، ولم يعد قادرا على العمل، ولم يجد من ينوب عنه في هذه المهمة الجليلة، مجلة عود الند الثقافية الإلكترونية، بموقعها، وملفها الإلكتروني "PDF"، تحولت من مجلة شهرية إلى مجلة فصلية، وتوفر ملفها الإلكتروني للباحثين. ينتبه رئيس التحرير الدكتور عدلي الهواري إلى هذا المأزق التي تقع فيه المجلات العربية، فناقش المسألة في افتتاحية العدد (28) من المجلة (ربيع، 2023)، متوقفا عند ما أعلنت عنه مجلة "بدايات" اللبنانية التي يرأس تحريرها الكاتب والمترجم فواز طرابلسي. ثمة أسباب

تدفع رؤساء التحرير لمثل هذا القرار، وفي حالة "بدايات" كانت المشكلة في تراجع "التمويل الأجنبي" وعدم مقدرة المجلة على الصدور بجهود ذاتية، فعلق رئيس التحرير إصدار المجلة، ولم يتحول إلى الإصدار الإلكتروني في الموقع أو بصيغة "PDF"، علما أن التمويل الأجنبي تقلص ولم يجفّ نهائياً، فبإمكانه أن يصدرها إلكترونيا، لكنه ربما أراد أن يمارس حردا ثقافيا من نوع "أقتل ابني لأهمّ جارتي".

باعتقادي الشخصي أن المجلات الإلكترونية مهمة، وتعوض النقص، إضافة إلى ما قاله الدكتور عدلي الهواري: "وجود منابر ثقافية متعددة أمر يستحق الترحيب به، ولكن اختيار المنبر الثقافي أن يكون ورقيا في العصر الرقمي أمر لا يبدو أنه يتحلى بالحكمة"، لاسيما أن القراء اليوم تحولوا إلى القراءة الإلكترونية، كتبا ومجلات وصحفاً، وانخفض الإقبال بشكل كبير على اقتناء المطبوعات الدورية والكتب الورقية، هذا ما ألاحظه في نفسي؛ أنا المهووس باقتناء الكتب والمجلات وقراءتها، لم أعد مستعدا لشراء مجلة ورقية تصدر إلكترونيا. ومثلي آلاف من الكتاب، كما يلاحظه أصحاب المكتبات؛ إذ لم تعد تبيع نسخا من المجلات كما هو في السابق.

كما ساهمت مجموعات قراءة الكتب ومناقشتها من تعزيز حضور النسخة الإلكترونية من الكتاب، لأنها أصبحت تعتمد على اللقاءات الإلكترونية عبر التطبيقات الحديثة، وخاصة زووم، ومن أجل إنجاح مثل هذه الحلقات من النقاش يوفر المنظمون الكتب المراد مناقشتها إلكترونيا بصيغة "PDF"، ويصبح الأمر ضروريا جدا إذا ما كان المناقشون من دول متعددة يجتمعون عبر تطبيق افتراضي. كما تفعل ندوة اليوم السابع المقدسية منذ تحولها إلى اللقاءات الإلكترونية بعد مصيبة جائحة كورونا.

إن المطبوعات الإلكترونية لا شك في أنها نعمة، يستحق أصحابها الشكر والامتنان، مشيدا في هذا المقام بمجلة الليبي التي يرأس تحريرها الأكاديمي الليبي الدكتور الصدّيق بودوارة المغربي، إذ تصدر المجلة ورقيا وإلكترونيا، بصيغة ملف (PDF) متاح للقراء جميعا، مع أن المجلة تتعثر في الصدور أحيانا تبعا لظروف خاصة، لكنها تصرّ على الصدور، ولم تنقطع أيام الجائحة، بل بقيت تصدر إلكترونيا في حينه، لتتابع الصدور الورقي بعد ذلك.

بطبيعة الحال لم تكن "الليبي" وحدها في هذا التزاوج بين الورقي والإلكتروني، وإنما معها مجلات أخرى متعددة. إن المحررين بالفعل يستحقون الإشادة، خاصة أنهم يبذلون قصارى جهودهم في التحرير والتصميم وتعميم أعداد تلك المجلات في وسائل متعددة، إما برفعها على منصات تحميل الكتب لتكون متاحة مجاناً، أو بتوفير روابط إلكترونية للتحميل والنشر على صفحات تلك المجلات أو محرريها، أو عندما يتكرمون على الكتاب والقراء والأصدقاء بإرسالها عبر الواتس أب أو رسائل البريد الإلكتروني أو رسائل الفيسبوك. كل هذه الوسائل تجعل من هذه المجلات قريبة للقارئ، وتعزز فيه نزعة القراءة الجادة، أو تدفعه ليمارس الكتابة، ويكون أكثر جرأة في النشر، وتطوير ذاته، إن وجد رئيس تحرير جيد؛ يقوم برعايته وتوجيهه.

وليس فقط رؤساء تحرير المجلات الإلكترونية، بل لا بد من تقديم الشكر والامتنان لكل الكتاب والناشرين الذين يتيحون كتبهم بصيغة إلكترونية للقراء، ولا يجعلون تلك الكتب خاضعة لبورصة الأسعار، وتحكم المنطق الرأسمالي بالمعرفة البشرية، فيتعاملون معها تعامل التجار بمنطق السوق، فتسلّع المعرفة، وتنتهك قدسيتها في هذا الفعل، وعليّ هنا أن أشيد بجهود مؤسسة هنداوي التي تتيح كل كتبها للتحميل المجاني عبر موقعها الإلكتروني. كما يجب الاعتراف بفضل كل المكتبات الإلكترونية التي توفر مكتبات ضخمة للتحميل المجاني، معززة بذلك عولمة الأفكار وشيوعها وعدم احتكارها.

على هدي من هذا التطور أخذت أفكر جديا أن أصدر كتبي القادمة بطبعات إلكترونية، وتوفير عدد محدد ورقيا من أجل حفلات التوقيع والإشهار وإيداع نسخ في المكتبات العامة ومكتبات الجامعات، وقد بدأت بذلك بالفعل مع كتابي الجديد "الكتابة في الوجه والمواجهة"، فقد جعلته متاحاً للتحميل والقراءة في مكتبة نور الإلكترونية، كما قمت قبل ذلك بتوزيع الملف الإلكتروني لكتاب "استعادة غسان كنفاني" على الكتاب والمثقفين في البريد الإلكتروني بمناسبة مرور خمسين عاما على استشهاد غسان كنفاني، وكان الكتاب قد صدر ورقيا قبل عام من ذلك.

إن فكرة موت المجلة ورقيا وإعادة بعثها إلكترونيا لهو عمل إنساني وثقافي مهمّ، يحافظ على ديمومة المجلة واستمرار إشعاعها الفكري والحضاري في ظل هذا التقدم التكنولوجي، أما موتها وسكونها وتحولها إلى أرشيف للباحثين فهو قتل للمعرفة وإطفاء لسراج الأفكار المتدفق من بين أقلام الكتاب وعقولهم، فلا شيء أبشع من قتل المعرفة بهذه الطريقة. إن ذلك أشبه بما قاله الشاعر العربي القديم عن المصيبة الحقيقية الكامنة في موت خلق كثير بموت شخص حر كريم واحد، وبالاعتذار أولا لصاحب البيتين أختم بحكمته تلك مع قليل من التعديل:

لعمرك ما الرزيّة فقْد مال ولا شاةٌ تموت ولا بعيرُ

ولكنّ الرزية موتُ "سِفْرٍ" يموت بموته "فكرٌ" كثيرُ

عن الديمقراطية الإلكترونية

عبده حقي

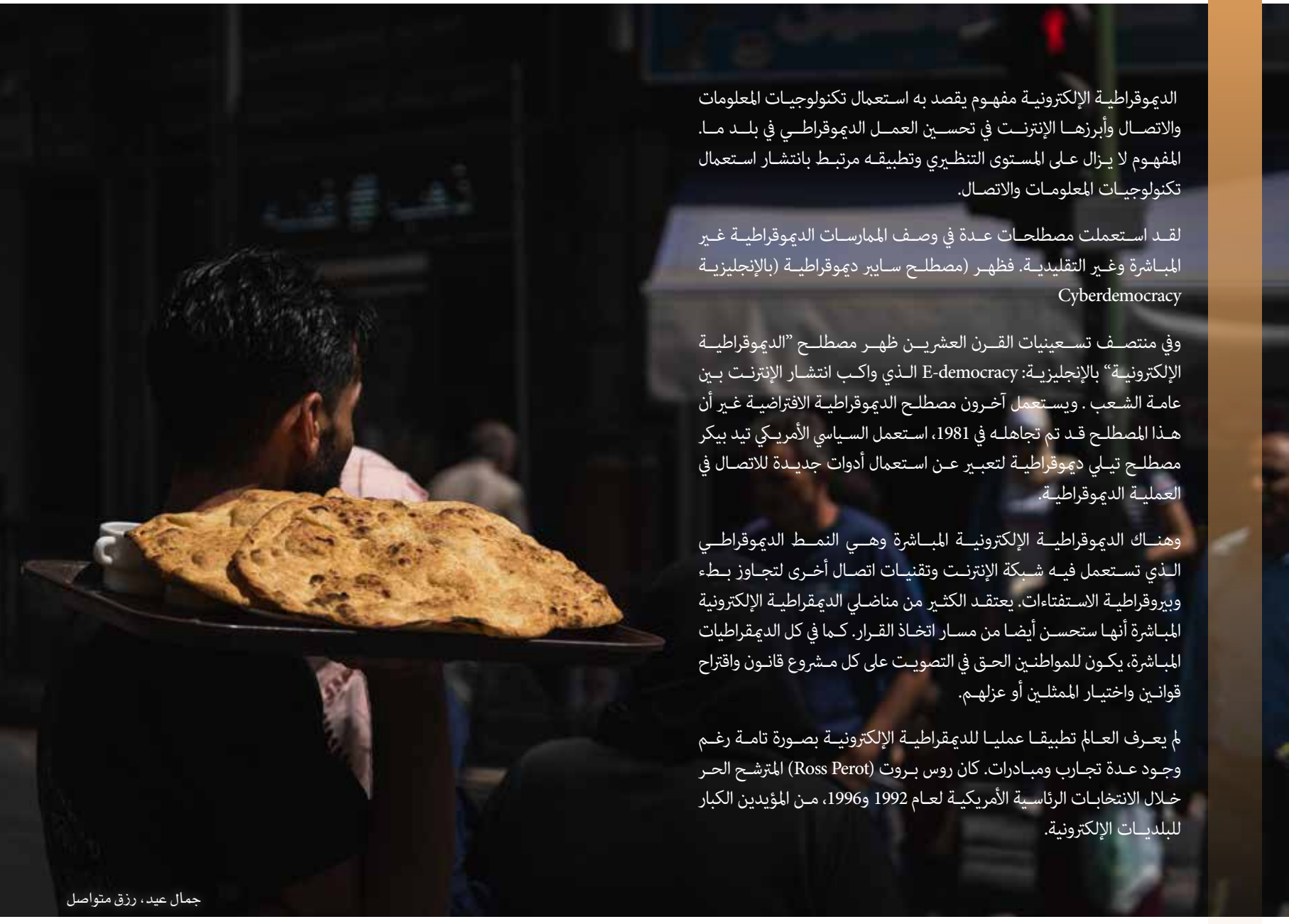

الديموقراطية الإلكترونية مفهوم يقصد به استعمال تكنولوجيات المعلومات والاتصال وأبرزها الإنترنت في تحسين العمل الديموقراطي في بلد ما. المفهوم لا يزال على المستوى التنظيري وتطبيقه مرتبط بانتشار استعمال تكنولوجيات المعلومات والاتصال.

لقد استعملت مصطلحات عدة في وصف الممارسات الديموقراطية غير المباشرة وغير التقليدية. فظهر (مصطلح سايبر ديموقراطية (بالإنجليزية Cyberdemocracy

وفي منتصف تسعينيات القرن العشرين ظهر مصطلح "الديموقراطية الإلكترونية" بالإنجليزية: E-democracy الذي واكب انتشار الإنترنت بين عامة الشعب . ويستعمل آخرون مصطلح الديموقراطية الافتراضية غير أن هذا المصطلح قد تم تجاهله في 1981، استعمل السياسي الأمريكي تيد بيكر مصطلح تيلي ديموقراطية لتعبير عن استعمال أدوات جديدة للاتصال في العملية الديموقراطية.

وهناك الديموقراطية الإلكترونية المباشرة وهي النمط الديموقراطي الذي تستعمل فيه شبكة الإنترنت وتقنيات اتصال أخرى لتجاوز بطء وبيروقراطية الاستفتاءات. يعتقد الكثير من مناضلي الديمقراطية الإلكترونية المباشرة أنها ستحسن أيضا من مسار اتخاذ القرار. كما في كل الديمقراطيات المباشرة، يكون للمواطنين الحق في التصويت على كل مشروع قانون واقتراح قوانين واختيار الممثلين أو عزلهم.

لم يعرف العالم تطبيقا عمليا للديمقراطية الإلكترونية بصورة تامة رغم وجود عدة تجارب ومبادرات. كان روس بروت (Ross Perot) المترشح الحر خلال الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام 1992 و1996، من المؤيدين الكبار للبلديات الإلكترونية.

جمال عيد، رزق متواصل

هنـاك عـدة محـاولات هـي في مخـاض الـولادة في أسـتراليا عـبر مـشروع Metagovernment. (بالإنجليزيـة Senator On-Line (سـيناتور عـلى الخـط) وهـو حـزب سـياسي أسـترالي شـارك في الانتخابات الفيديرالية الأسـترالية لسـنة 2007، اقـترح هـذا الحـزب نظـام سـايبر ديمقراطية الذي يسـمح للأسـتراليين بمشـاركة السـيناتور في اتخـاذ القـرارات بخصـوص مشـاريع القوانـين.

في الديمقراطيـة المبـاشرة، للمواطنـين حـق اختيـار الممثـل الـذي سـينتخب باسـمهم مـع الاحتفـاظ بحقهـم في الانتخـاب إذا قـرروا ذلـك.. يمكـن أن يكون الانتخـاب أو اختيـار الممثلـين بطريقـة إلكترونيـة.

تعتـبر شـبكة الإنترنـت حاضنـة واعـدة بالنسـبة للديمقراطية الإلكترونيـة بالإضافة إلى وسـائل الاتصال المتنقلة. وتتميز شـبكة الإنترنـت عـن وسـائل الإعـلام التقليديـة بقدرتها على المخاطبة الفردية والجماعية للأشـخاص. وتضمن قـوة الحسـاب الهائلة للحواسـيب الحديثة إضافة إلى خوارزميات التشـفير سريـة الاقـتراع للمواطنـين. كـما تسـمح الإنترنـت للأشـخاص مناقشـة الأمـور فيـما بينهـم بصـورة أفقيـة ومفتوحـة للجميـع الـشيء الذي لا تسـمح بـه وسـائل الإعـلام التقليديـة. وشـكلت الإنترنـت في العقـد الأخـير وسـيلة هامـة في مخاطبـة السياسـيين للجماهـير ونـشر أفكارهـم والاسـتماع إليهـم خاصـة في الحمـلات الانتخابيـة.

التحسـينات التي يسـعى إليها المؤيدون لهـذه الديمقراطيـة الإلكترونيـة، تمـس ترقيـة وتسـهيل مشـاركة المواطنـين في مسـار اتخـاذ القـرارات والحيـاة السياسـية. تشـمل التحسـينات أيضـا تكييـف عمليـة الاقـتراع للسـماح بالمشـاركة عـن بعـد أو بالوكالـة عـن طريـق وسـائل اتصـال إلكترونيـة. كـما تهـدف لشـفافية أكـبر للعمليـة الديمقراطيـة.

إن عـدم وجـود الرغبـة والإرادة اللازمـة مـن القيـادات السياسـية تجـاه اعتـماد حكومـة إلكترونيـة يعـد مـن أبـرز المشـاكل السياسـية التـي تواجههـا تطبيقـات الحكومة الإلكترونيـة بالأخص في البلـدان الناميـة.

كـما تعتبر الثقافة السياسـية السـائدة في بلـد مـا مـؤشرا حاسـما وعنـصرا حرجـا. فلثقافـة علاقـة مبـاشرة بالاهتـمام بتوجهـات إقامـة مشـاريع الحكومـة الإلكترونيـة حيـث غالبـا مـا تنعكـس توجهـات القـادة السياسـيين والمسـؤولين الحكوميـين عـلى المبـادرات الحكوميـة والمشـاريع المسـتقبلية. والمثـال العالمـي الأبـرز عـلى دور القادة في قيـادة وإنجاح المبـادرات الحكوميـة هـو رؤيـة الرئيـس الأمريـكي السـابق بيـل كلينتـون حـول إعـادة اخـتراع الحكومـة التـي طـورت بموجبهـا البوابـة الإلكترونيـة الأمريكيـة لتصبـح مـن أرقـى البوابـات الوطنيـة الإلكترونيـة الموحـدة في العـالم.

يمكـن اسـتخدام تقنيـات المعلومـات والاتصـالات لـكل مـن الأغـراض الديمقراطيـة وغـير الديمقراطيـة (إذ يمكـن للتقنيات الرقمية أن تسـهل كلًا من السـلطة القمعية أو المشـاركة الديمقراطيـة). يعتـبر التصـور الـذي قدمـه الكاتـب جـورج أورويـل في روايتـه 1984 مـن الأمثلـة النموذجية للاسـتخدام غـير الديمقراطـي للتكنولوجيا.

يُذكـر أن الاعتراضـات عـلى الديمقراطيـة المباشرة قـد تنطبق أيضًا عـلى الديمقراطية الإلكترونيـة، مثـل إمكانيـة الحكـم المبـاشر لإحـداث اسـتقطاب في الآراء، بالإضافـة إلى الاتجاهـات الشـعبوية والديماغوجية.

في الـدول المعرضـة لحجـب شـامل أو جـزئي شـبكة الإنترنـت، لا يمكـن اسـتغلال الديمقراطيـة الإلكترونيـة بشـكلها الأقـصى. كثـيرًا مـا تميـل الحكومـات إلى تطبيـق إجـراءات قمعيـة واسـعة عـلى الإنترنـت خـلال الاحتجاجـات الشـعبية الواسـعة. عـلى سـبيل المثـال في احتجاجـات الـشرق الأوسـط عـام 2011، حيـث حدثـت حـالات متعـددة مـن حجـب الإنترنـت مـن قبـل الحكومـة في كل مـن ليبيـا ومـصر والبحريـن وسـوريا وإيـران واليمـن دعيـت باسـم 'قمـع الشـبكة العـربي' وهـي جميعهـا دول طبـق قادتهـا الحجـب الكامـل للإنترنـت ردًا عـلى المظاهـرات الواسـعة المطالبـة بالديمقراطيـة في هـذه الـدول. هدفـت إجـراءات الحجـب والعـزل جميعهـا أساسًـا إلى منـع تـسرب مقاطـع الفيديـو المشـتملة عـلى تصويـر للقمـع الحكومـي ضـد المحتجـين.

اعتقـد الكثـير مـن مسـتخدمي الإنترنـت أن الديمقراطية عـلى الإنترنـت في الولايات المتحـدة تعرضـت للهجـوم مـن خـلال قانـون وقـف القرصنـة عـلى الإنترنـت الصـادر عـن مجلـس النـواب الأمريـكي. ذكـر كاتـب في موقـع هافينغتـون بوسـت أن الطريقـة الأمثـل لتشـجيع الديمقراطيـة (ومـن ضمنهـا الإبقـاء عـلى حريـة التعبـير) هـي مـن خـلال التغلـب عـلى قانـون وقـف القرصنـة عـلى الإنترنـت. يجـدر بالملاحظـة أن تطبيـق هـذا القانـون توقـف إلى أجـل غـير مسـمى بعـد أن ظهـرت عـدة اعتراضـات، ومـن ضمنهـا بعـض المواقـع الشـهيرة مثـل ويكيبيديـا الـذي توقـف عـن العمـل لمـدة يـوم كامـل في الثامـن عـشر مـن يناير عـام 2012. في الهنـد، حـدث وضـع مشـابه كذلـك في نهايـة عـام 2011، عندمـا اقـترح وزيـر الاتصـالات وعلـوم تقانـة المعلومـات الهنـدي كابيـل سـيبال أن المحتـوى العـدائي قابـل 'للكشـف المبكـر' قبـل السـماح بنـشره عـلى الإنترنـت دون أي قواعـد لتقويمـه. لكـن التقاريـر الإخباريـة الحديثـة تذكـر أن سـيبال قـال إنـه لـن يكـون هنـاك وجـود لأي قيـود عـلى اسـتخدام الإنترنـت.

داوود أبو معروف، لكم بالمرصاد